المعلم بطرس البستاني

نفير سورية



المعلم بطرس البستاني

نفير سوريّة



طبعة أولى، بيروت، خريف 1990

نقلنا هذه الوطنيات عن النص الأصلي الموجود في مخطوطات مكتبة يافث التذكارية التابعة للجامعة الاميركية في بيروت، وقمنا بتحريرها وضبطها وتحقيق الفاظها. والكلام الوارد بين [...] هو اضافة من عندنا

دار فكر للأبحاث والنشر

تلفون 802770 و 803891، تلكس SANIN 20886 LE

ص. ب/ 13/5648، بيروت،

كلمة الى القارىء

لماذا تُنشر الآن هذه الوطنيات، بعد مضي 130 عاماً على صدورها (1860)، وفي هذا الوقت بالذات (1990).

قد لا يحتاج هذا التساؤل إلى إجابةٍ مُسهبة. فالوطنيات الإحدى عشرة تؤلّف خير جواب وأصدقه. وليس القصد من هذه الكلمة إثقال كاهل القارىء بالنظريّات والتحليلات والتكهّنات والتفسيرات. فالوطنيّات التي نشرها بطرس البستاني في أعقاب حوادث الستّين (أو «فتنة الستّين») في لبنان، وكان يوقّعها «من مُحبّ للوطن»، لا تحتاج إلى مزيد من الشرح والتنظير. إنها تتحدّث عن نفسها، وتتوجّه إلى القارىء، إلى ابناء الوطن الواحد، مخاطبةً إيّاهم بصورة مباشرة، على صعيد الممالحة والجوار، ودفاعاً عن الصالح العام، وفي سبيل اللحاق بركب التقدّم والتمدّن والعمران، والتعلّق بالمصير المشترك.

تنتظم هذه الوطنيّات فكرةٌ اساسيّة قوامها حبّ

الوطن والتعلّق بالأوطان، إذ تعتبر مصلحة الوطن فوق كل مصلحة، وتؤمن بأن الدِّين لله وليس اقتتالاً على السماء، لئلاّ يفقدنا الأرض ويتشرذم الوطن إلى فئات وجبهات وإقطاعات. نعم، «ان حبّ الوطن من الإيمان» والوطن لجميع ابنائه على حدّ سواء.

ومن الملاحظ ان المعلّم بطرس البستاني يتخذ موقفاً ايجابيّاً من التدخل الأجنبي نظراً للعون والمساعدات الخيريّة والعينيّة التي يُتوقع وصولها من الدول الأوروبيّة. فلا تطالعنا في وطنيّاته هواجش الخوف من المداخلات الخارجيّة في مصائر الوطن وابنائه، والحرص الشديد على حيادته في مهبّ رياح لعبة الأمم وإبعاده عن مكائد السياسة الدوليّة واطماعها. وعلينا ان ننتظر عشرين سنة لكي يتبلور هذا الوعي ويجازف بالخروج إلى حيّز العَلَن.

يتراءَى لنا بأن التاريخ يعيد نفسه لجهة مغزى هذه الوطنيات وقيمة الرسالة التي تحملها إلى ابناء الوطن الواحد، ولجهة المضمون الوطني الصادق والنابع من غيرة كل «محبٍّ للوطن». فما أشبه اليوم بالبارحة!

وعسى ان يجد القارىء فيها اليوم دَفْعاً جديداً لمسيرة بناء الوطن المثقل بالجراح والخارج من المحنة الدامية إلى رحاب الحريّة والسلام والتآخي المخلص، ومحبّة الوطنِ الحقّة، في سبيل التقدّم والرقّي الحضاري، وخدمة لأغراض العمران وإعلاء شأن الصالح العام.

يجب ان تتحول قراءَة هذه الوطنيّات إلى عمليّة تثقيف وتوعية، وتطهير للنفوس من شوائب الانانيات والمصالح الفرديّة. مصلحة الوطن فوق كل مصلحة،

وحبّ الوطن ينبع من الإيمان، ويستقطب الصراع الفكري الحرّ، انطلاقاً من الأصالة الحضارية، والتحرّر من الأوهام والترّهات والمزاعم الباطلة، والتخلّي عن الإدعاءَات الفارغة والتبجّح الزائف.

من محب للوطن أيضاً

(1990)

نفير سورية عدد ١

بيروت في ٢٩ أيلول سنة ١٨٦٠

[الوطنية الاولى]

يا أبناء الوطن

الفظائع والمنكرات التي ارتكبها اشقياؤنا هـذه السنة في ظـرف مدة قصيرة وصلت اخبارها إلى اطراف المسكونة، فكان تأثيرها الغَمّ والشفقة من الجهة الواحدة، والغيظ والغضب من الجهة الأخرى، وذلك في كامل العالم المتمدن. فترون الإحسانات قادمة من كلّ جهة لإغاثة المحتاجـين، والجيوش تتوارد من كل قطر لوقاية الضعفاء وتـأديب المذنبـين والمتعدّين. وكثيراً ما نرى الفئة الظافرة تتباهى بما عملته بقولها: كفانا شرفاً وما اشبه، غـير عالمـة ان العالم المتمـدن انما ينـظر إلى تلك الأعمـال التي تفتخـر بهـا بالكراهة والانفة والغضب حاسباً إياها اعمال برابرة متوحشين عارين من الإنسانية والشيمة والمروءة والديانة ولصوص وقطاع طريق. ولـذلك قـد صار يدا واحدة في إنزال سوء العقاب بالقوم البغاة وتربية المتعدين. ونرى من الجهـة الأخرى أكـثر الفئة المغلوبـة تظنّ متـوهّمةً ان الجيـوش انما أتَتَ لأجـل نجدتهم في أخـذ الثأر واستحـلال مال العـدو ودمه ومـا ذلـك إلاّ تحريف لمقاصد الدول العظام. فإذا رَتّبوا اعمالهم بالنظر إلى هذا التأويـل

يـوقعون أنفسهم تحت الغضب ويستـوجبون أشـدّ العقاب نـظير اولئك وتتحـول الشفقـة عليهم إلى قسـاوة وينتـج لهم من ذلـك ضـررٌ جسيم . وليَعْلَم هؤلاء ان الوقت لإظهار شجاعتهم وبطشهم قد مضى وقد أضحى نقلهم للسلاح غير جائز ولا مقبـول إلّا من دعته اوليـاء الأمور الى ذلـك . وبناءً على ذلك سبيلهم ان ينظروا بـالإركان إلى دولتهم والـدول المتحابـة القادمة لاعطائهم راحتهم وتأمينهم في محلاتهم وينتظروا بالصبر اجر تلك المقاصد الخيرية التي تحركت عظماء العالم لإجرائها على أصول متفق عليها وبوسائط مقررة من دون افتقار إلى رأي الأهالي وتدبيـرهم ومساعـدتهم . ولا يخفى ان فرار الفئة المتغلّبة وتركهـا لأوطانها ظـانّة بـوهم انها بواسـطة الفرار تقدر ان تنجو من القصاص الـذي استوجبتـه اعمالهـا ، غلط مبين ولا ينتج منه إلا تشتيت العيال وخراب البلاد ووقوع الشبهة على الهـاربين من الابرياء . لأن ظن هؤلاء أو غيرهم بأن الـدول إنما أتت لتتحـزب لفئة دون أخرى أو لتحامي عن جماعة ما او تنتقم من أخرى مجردا لأجل كـونها مسيحية أو غير مسيحية ، باطل لا أساس له بل عـلى ما نعلم انها انمـا أتت للمحاماة عن حقوق الإنسانية واجراء اصول العدالة والحقانية فلا خـوف على الابرياء من أي فئة كانوا ولا نعلم بوجود نفر عام في احدى الفئات .

فيا ابناء الـوطن ، ان الخراب والـدمار الـذي حَلَّ ببـلادنا هـذه لا يوجد له نظير في التواريخ وأسبابه غير مجهولة لدى الأكثرين منكم وهو ممـا يوجع قلب كل ناظر ومحبٍّ للوطن . وهذا الخراب وان يكن في ظاهـر امره خصوصياً فهو في الحقيقة عمومي يلحق جميع ابناء الوطن لأن كـل خسارة حصلت أو تحصـل فهي خارجـة من كيس الوطن ، وكـل نفس فقدت أو تفقد فخسارتها لاحقة بالجميع .

يا أبناء الوطن

انكم تشـربون مـاء واحـداً وتتنسمـون هـواء واحـدا ولغتكم التي تتكلمون بها وارضكم التي تـطأونها وصوالحكم وعـاداتكم فهي واحدة . وإذا كنتم لا تزالون إلى الآن سكارى من شرب دم اخـوتكم في الوطن أو

طـائشين من عـظم المصائب الـواقعة عليكم فـلا بـد من انكم عن قليل تستفيقـون من هـذه الغفلة وتـدركـون معنى هـذه النصـائـح وصـالحكم العمـومي . فهذا مـا قصدت ان اخـاطبكم بـه الآن ، ولي أمـل ان اداوم الكتابة إليكم وأسأل الله ان يرشـدكم إلى معرفـة صالحكم وخـير بلادكم ويحرّك قلوبكم إلى اعتبار نصوص ومبادىء الديانة التي انتم متدينون بها . وأدام الله تعالى بقاءكم .

من محب للوطن

م

نفير سورية عدد ٢

بيروت في ٨ ت ١ سنة ١٨٦٠

[الوطنية الثانية]

يا أبناء الوطن

ان التأثر الـذي حصل عنـد حضرة السلطان عبـد المجيد خـان لما بلغته اخبار الحركات والارتكابات التي صار وقوعها في هذه البـلاد يتّضح جليّاً لمن اطّلع على الفـرمـان الصـادر بتـاريخ أواخـر ذي الحجـة سنـة ١٢٧٦ هـ [أوائل تموز (يوليو) 1860] إلى حضرة صاحب الدولة والاقبـال فؤاد باشـا المعظم لدى صدور الإرادة السنية بقدومه إلى هذه الأطراف . وما صدرت بـه الإرادة السنية من التدابير لقطع عرق الفساد وتوقيف مجرى الحركات واستحصال الراحة والامنيـة يستدلّ بـه على ذلك التأثر وعلى اعتبار شاهانيته لاهمية المسألة والتفاته نحو صالح رعاياه وشفقته عليهم . ثم ان العبـارات الواردة في اعـلان [19 تموز 1860] المشـير المشار إليـه الذي صـار نشره برفقة الفرمان العالي اثناء حلول ركـابه السعيـدة على شـطوط هذه البـلاد ومواعيده خطّاً ثم شفاها للرعايا قاطبـة بالـراحة والأمنيـة والعدالـة يجعل الجميع ينتظرون من دولته اجراء تلك المقاصد الخيرية والمواعيد الراهنة .

يا أبناء الوطن

لا بـد انكم ضجرتم من طـول مدة تشتتكم وذلّكم وغـربتكم عن

اوطانكم وصرتم في شوق زائد إلى الرجوع إلى مسقط رأسكم أو كما يقال قد اشتاقت البلاد إلى أهلها وقد فقد كثيرون من أعزّ اصحابكم واولادكم في غربتكم وكثيرون منكم مرضى وعراة ومحتاجون . وبالاجمال النظر إلى حالكم يوجب الحزن والغمّ الشديد . ولا شك إنه مما يزيدكم كَدَراً وهمّاً عدم حصولكم إلى الآن على ما تنتظرونه من الترضية الكافية بالانتقام من المتعدين عليكم والحصول على تعويضات اضراركم . ولكن معلومكم ان العمار أصعب من الخراب . فما قولكم في بلاد متسعة اخربها اشقياؤها وفساد من عليها في ظرف مدة قصيرة؟ فهل يقدر مهندس واحد مهما كان حكيماً ان يعمرها ويرجعها إلى حال رونقها السابق في ظرف المدة بعينها ، وعلى الخصوص إذا أريد اتقان المصلحة . وهذا هو الحال في المسألة الحالية .

يا أبناء الوطن

اننا نرثي لحالكم والنظر إلى ضيقتكم وخسارتكم واحزانكم يزيدنا ألماً وغماً ونعذركم في لجاجتكم وتشكياتكم . غير اننا نرى ان التأني وأخذ الأمور بالوسعة وتجنب الأسباب التي من شأنها ان تجعل الخرق اردأ وتزيد الخراب خراباً هي من اكبر الوسائل للحصول على المرغوب . ولا نرى لكم سبيلاً إلا ان تنظروا بالثقة والأركان إلى من بيدهم زمام الأمور وان تعلّلوا انفسكم بالأمل بأنهم سيصرفون جهدهم في الانتصار للمظلومين واجراء العدالة في حقهم . ومما يجب ان يزيدكم إركاناً وثقة ويحملكم على الصبر هو ان اعظم دول العالم ملقية نظرها عليكم ومنتظرة بكل وجد ورغبة تخفيف شدّتكم وإعطاءكم راحتكم وحصولكم على حقوقكم .

يا أبناء الوطن

من الأمثال الجارية على ألسنتكم : «مَنْ صَبَرَ نال ، ومن لجَّ كَفَر» . ومنها : «الصبر مفتاح الفرج» . ومنها : «اللجاجة تعقبها الندامة» . ومنها : ان التأنّي في المقاصد حكمة وخلافه قد افسد الأشياء . نعم ، ان عمى القلب صار لبني اسرائيل لسبب مهلة يسيرة ولكن أمّا هو الأوفق

لصالحكم ان تتخذوا اولئك القوم موعظة وعبرة لا مثالا وقدوة . وكم نشتهي ان نراكم ترجعون عن قريب إلى اوطانكم وتعيشون بالأمن والراحة والرفاهية . فسبيلكم ان تكونوا شكورين صبورين وتطلبوا من الله ان يجازي خيراً هؤلاء الذين انجدوكم فمنعوا امتداد الفتنة وتورط الأشرار وحجبوا دماء العباد وزيادة الخراب وان يرشد اولياء الأمور المتسلمين زمام العباد إلى سواء السبيل والصواب ويعضدهم في المبادرة إلى اجراء المقاصد الخيرية والمحاماة عن حقوق الإنسانية .

يا أبناء الوطن

ربما يخطر ببالكم احياناً فكر مهم جداً وهو ان الضربة التي وقعت على هذه البلاد هي من الله فهذا فكر صحيح لا تطردوه بل افتحوا له ابواب قلوبكم وترحّبوا به لعلّه يكون واسطة لتنبيهكم إلى الرجوع إليه تعالى فيرجع عنكم . والا فيخشى من ان يثقل يده ، لأنه تعالى لا يغير ما بقوم ما لم يغيروا ما بأنفسهم . فأملي انكم تتصفّحون ما قلته لكم في هذه النشرة والنشرة التي قبلها بروح المحبة والخلوص والبساطة بما انه ناتج عن خلوص نية وخلو غرض ممن شاركم في مصائبكم ويشاركم في حاسياتكم ويتألم كثيراً من النظر إلى مصائبكم وأطال الله تعالى بقاءكم .

من محب للوطن

نفير سورية عدد ٣

بيروت في ١٥ ت ١ سنة ١٨٦٠

[الوطنية الثالثة]

يا ابناء الوطن

ما بال بلادكم مكتسية ثياب الحداد، ما بال جبالكم واكامكم مقفرة وأوديتكم وسهولكم موحشة ومدنكم وقراكم مضطربة، ورجالكم وأقويائكم متشتتة ونسائكم نائحة وعذاراكم باكية وأراملكم وأيتامكم في حالة يرثى لها من المذلة والإهانة والمسكنة. ما بال دمشق ملكة سورية واشهر المدن القديمة واعظمها جالسة في وسط غابات وغياض تحت الصفصاف حول نهر بردى لابسة السواد تنوح باكية على شبانها وعذاراها وتتأسف نادبةً ثروتها وغناها ورائية متاجرها وأسبابها. ما بالكم تسمعون هنا أصوات النوح على حبيب مفقود أو صديق هارب أو زوج مسجون أو ابن وحيد مأسور أو ابنة عزيزة مخطوفة ثم هناك زفرات تتصاعد من قلوب منكسرة لا تجبر قد استولى عليها الغَمّ والهَمّ وملأتها كؤوس الكآبة والكَدَر. ثم هنالك انينا عميقا متواصلا أرسله فؤاد قد مازج مصائبه امراض عضالة وآلام مبرحة. ما بالنا نرى هنالك رجلاً مختبئاً في مغار أو كهف وآخر قد آوى غابات التفّت اشجارها يساكن وحوش البرية وآخر

تائهاً هارباً كقايين قاتل أخيه وليس من يطلبه . ما بالنا نرى في هذه المدينة جمعاً غفيراً من الخاص والعام في حالة تفتت الأكباد يتزاحمون على الأبواب في طلب الإحسانات مع ان اكثرهم كانوا منَ المحسنين . لا ريب ان هذه المناظر والأحوال مخيفة ومحزنة جداً . وما هي أسبابها ومَن هُم الذين جاروا الشيطان في ايقاع هذا المقدار من الخراب الطبيعي والأدبي؟ . ان الجواب على ذلك يستفاد بالاجمال مما كتبناه سابقاً ولا يسعنا الوقت الآن إلى إيضاحه بالتفصيل وانه لا يفيدنا الآن كثيراً النظر إلى الماضي بل يجب توجيه الاهتمام نحو المستقبل بقصد تخفيف مصائبه وتوقيف مجرى تأثيراتها الرديئة ومفاعيلها الخبيثة .

يا ابناء الوطن

قد مضى فصل الصيف الواسع البساط القليل الاحتياجات الذي ربما اكتفى فيه الواحد كما اكتفى كثيرون منكم بفراش من الحضيض وغطاء من الأشجار أو من قبّة الفلك وحرّاس من النجوم وابتدأت الأشجار التي كنتم تستظلون تحتها تخلع حليها لتستعد لاستقبال فصل آخر . وكأني بجيوش متراكمة شديدة البأس صاعدةً من الغرب وهاجمة من الفلك لتقاتل الجو وتحجب عنا أعين تلك الحرّاس وتنبّهنا إلى ان فصل الشتاء الضيق المجال الكثير الاحتياجات قادم ببرده وثلجه وهاجم بزوابعه وزمهريره .

يا ابناء الوطن

ان طوائف النمل قد انتهت من جمع مونة الشتاء واقامت لنفسها اوكارا حصينة تقيها من غوائله . وقبائل النحل قد فرغت من جناها وهيأت لنفسها بيوتاً متقنة ذخرت فيها خزائنها واوت إليها طلبا للراحة والوقاية وأما اخوتنا بنو آدم وابناء وطننا فإن كثيرين منهم بالكاد تملك ايديهم كفاءة يومهم وليس لهم واأسفاه بيوت يأوون إليها ولا ملابس مناسبة تقيهم من شدة البرد ولا اثاث يستخدمونه لوقاية انفسهم ولا خزائن في الاهراء ومن ثم كان النظر إلى مستقبلهم مهماً ومكدراً جداً .

يا ابناء الوطن

من امثال الافرنج قولهم : الوقت هو ذهب . واما عند الذين اشرنا إليهم من اخوتنا المساكين فأن «الوقت هو حياة» لأن كل يوم يفوت يكلف الوطن حياة كثيرين من بنيه . وبناء على ذلك كما قلنا انه من واجبات المقهورين الصبر والتأنّي . نقول ان القاهرين الغادرين والذين بيدهم زمام الأمور من واجباتهم الدينية والأدبية والمدنية المبادرة على الفور إلى استعمال التدابير القوية الفعالة لإيجاد الامنية الكافية وتقديم ما يلزم هؤلاء من القوت والمأوى والكسوة وباقي الاحتياجات إذا كانوا قادرين على ذلك كما انه من واجبات كل من كان متّصفاً بالشيمة والنخوة والشفقة اياً كان ان يبذل جهده ويفرغ همته في مساعدتهم ولا يضحيهم على مذبح الراحة الشخصية أو الاغراض والصوالح الذاتية مهما كانت .

يا ابناء الوطن

على ما يلوح لنا ان الامنية بهمّة اولياء الأمور قد ولدت حديثاً في هذه البلاد وانها إلى الآن موضوعة في مهدها مشدودة بالاقمطة على عادة الشرق وخاضعة لعوارض كثيرة متنوعة إلا إنها إذا كانت محفوفة بخفراء اقوياء واطباء ماهرين من اقدر واحكم رجال الشرق والغرب بكامل ادوات الجراحة وجميع اصناف العقاقير نؤمل ان همتهم تقيها من حوادث الدهر وحذاقتهم تستنبط لها وسائط فعّالة لنموها بالسرعة وإدراكها سن البلوغ في وقت مقبول واعتناقها نصيباً صالحاً لا ينزع منها .

يا ابناء الوطن

ننبهكم إلى شيء وهو ان تفضلوا التعيش من الكد بأيديكم وعرق جبينكم على الوقوف على الأبواب والاتكال على الاحسانات التي ما انفجر ينبوعها إلّا ليجفّ ولا عاشت إلا لتموت . ونحذّركم من شيء ، وهي البطالة التي من شأنها ان تضر الجسم والعقل والنفس . ونقول للمصابين منكم خاصة ان يتكلوا على الله الذي يهتم بالأيتام والأرامل ولا ينسى تنهد الفقير البائس .

يا ابناء الوطن

قد طال بنا المجال ولكن يصعب علينا ان نختم هذه اللاّئحة من دون ذكر ما يأتي : وهو ان الديانة الصحيحة من شأنها ان تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر ، وكل ديانة ليست لها هذه المزية لا تستحق ان تسمى ديانة . ومن فضل الديانة المسيحية على ما سواها من الأديان انها تأمر بمحبة الاعداء ايضاً . ولا ريب ان تتميم هذه الوصية هو من أصعب الأمور ولكن كونه صعباً لا يبطل وجوبه على المسيحيين بوجه العموم في جميع الأزمان والأمكنة والأحوال . هذا على ان الديانة المسيحية التي تأمر اتباعها ان يحولوا خدهم الأيمن لمن ضربهم على الأيسر وان يقابلوا الشر بالخير لا تنهي المتمسكين بها عن طلب حقوقهم المدنية بل ترخص لهم ان يحاموا عن انفسهم ويطلبوا حقوقهم ، ولكن لا بروح الانتقام ومحبّة اخذ الثأر . لأن مَن أصرَّ على الحقد والبغضاء وحافظ على روح الانتقام ومحبّة اخذ الثأر ليس من هذه الديانة في شيء . هذا واسأل الله ان يرشدكم إلى فهم ذلك ويقويكم على السلوك بموجبه وأطال الله تعالى بقاءكم .

من محب للوطن

نفير سورية او الوطنية الرابعة

بيروت في ٢٥ ت ١ سنة ١٨٦٠

يا ابناء الوطن

لقد اكثرنا ذكر الوطن في نشراتنا وما ذلك إلا لأنه أحبّ شيء إلى سمع مَن كان مُحبّاً لوطنه وألذّ ما زيّن به جيد العربية من الكلمات المولدة . فسورية المشهورة ببرّ الشام وعربستان هي وطننا على اختلاف سهولها ووعورها وسواحلها وجبالها . وسكان سورية على اختلاف مذاهبهم وهيئاتهم واجناسهم وتشعباتهم هم أبناء وطننا . والوطن اشبه بسلسلة متصلة كثرت حلقاتها ؛ طرفها الأول منزلنا أو مسقط رأسنا بمن حواه . وطرفها الآخر بلادنا بمن عليها . ومركز طرفيها ومغناطيسها قلبنا أو هما مركز قلبنا ومغناطيسه . ومن شأن الجاذبية القوية التي للوطن طبعاً نحو بنيه ان تضبطهم بعزم شديد داخل دائرته مهما كان رديئاً وتمسك بحبال قلوبهم وتجذبهم إليه جذباً عنيفاً لتردّهم إليه إذا غابوا عنه وان تكن ارض غربتهم احسن منه . ومن الأقوال السائرة : لو لم يكن الوطن قتالا كانت بلاد السوء خرابا . وبمقدار ما تكون حلقات سلسلة الوطن المادية أو الأدبية أقرب إلينا ، يكون تعلّقنا به أشدّ وميلنا إليه اقوى . فمنزلنا هو احسن المنازل وابناء وطننا هم احسن الناس عندنا وهكذا . وما أصدق ما

قيـل : السرّ بالسكـان لا بالمنـزل . فمن جَال في العـالم ولاحظ البلدان وسكانها يظهر له ظهور الشمس في رابعة النهار ان الوطن مهما كان لـه من المحاسن فقد يعـطله شرّ سكانـه ، ومهما كـان رديئاً في ذاتـه فقد تصلحـه محاسن أهله .

يا ابناء الوطن

لأهل الوطن حقوق على وطنهم كما ان للوطن واجبات عـلى أهله . فبمقدار ما تكون تلك الحقوق مستوفية حقها يزيد التعلق بالوطن والرغبة واللذة في تأدية تلك الـواجبات وذلـك اوضح من ان يبـين . فمن الحقوق التي على الوطن لبنيـه الامنية عـلى افضل حقـوقهم وهي دمهم وعرضهم ومالهم . ومنها الحرية في حقوقهم المدنية والأدبية والـدينية ولاسيـما حريـة الضمير في أمر المذهب وما اكثر الأوطان التي ذهبت شهـداء لهذه الحـرية . ومما يزيد ابنا الوطن حباً لوطنهم الاشعار بأن البلاد بـلادهم ، سعادتهم في عمارها وراحتهـا وتعاستهم في خـرابها وشقـاوتها . ومـما يزيـدهم رغبةً في نجاحه وغيرةً على تقدمه ان تكون لهم يد في اعمـاله وتـداخل في صـوالحه وبمقدار ما تكون المسؤولية المـوضوعـة عليهم اكثر تكـون هذه الحـاسّيات اشد واقوى . ومن الواجبات التي على ابناء الوطن لوطنهم حبّـه . وقد وَرَد في الحديث : «حب الوطن من الإيمان» . وما اكثر الذين بذلوا حياتهم وكل مالهم حبّاً بـوطنهم . وأما الـذين يبدّلـون حب الوطن بـالتعصب المذهبي ويضحون خير بلادهم لأجل غـايات شخصيـة ، فهؤلاء لا يستحقون ان يُنسبوا إلى الوطن وهم اعـداء له وأَلحِقْ بهم الـذين لا يبذلـون جهدهم في منع وقوع الأسبـاب التي من شأنها ان تضرّ بـالـوطن أو في تخفيفهـا بعـد وقوعها . وما اقلّ الذين اظهروا في هذه الأيام الصعبة من ابناء هذه البلاد حبهم لـوطنهم . فإن الـذي اطلق البارودة الأولى ورفـع الحجر الأول عن فم البركان الهـائل الـذي انفتح فـأهلك العباد واخـرب وسود صحـائف التاريخ بالارتكابات القبيحة التي ستبقى نقطة سوداء في تاريخ سورية مـا دامت السماء سماء والأرض ارضـاً . وكذلـك الذين لم يجتهـدوا في سد فم تلك البارودة وفوهة ذلك البرهان هم جميعاً مذنبون إلى وطنهم وقد قصّروا

في تأدية واجباتهم له .

واننا ننتهز هذه الفرصة لايضاح حـاسيّات الشكـر والممنونيـة نحو اخوتنا الذين هم على الجـانب الآخر من بحـرنا ووراء الاتـلانتيك ونحـو بنيهم الـذين هم ضيوف وطننـا لما اظهـروه ولا يـزالـون يـظهـرونـه من المساعدات المتواصلة لابناء وطننا توبيخاً لنا .

يا ابناء الوطن

ان بـلادنا المشهـود لها بـأنها من أحسن البلدان هواء ومـاء وخصباً ومركزاً والذّها ذكـراً واعظمهـا فخراً قـد مضت عليها أجيـال كثيرة وهي عرضة لفساد قوم غير متمدنين من اهاليها ولذلك ترونها متأخرة عما سواها من البلدان وقد زادت خراباً بواسـطة الحركـات الأخيرة ولكن نؤمـل انه بعناية الباري سبحانه وتعالى وبهمة دولتنا العلية والدول العـظام المتحابّـة معها ستكون الضربة الحالية التي وصل صوتها إلى اقصاء المسكونة مقدمة خير عظيم وافتتاح عصر جديـد لسوريـة . وفي ذلك كفـاية ليتـذكّر اولـوا الألباب :

قـل لمـن يحمـل همّـاً ان همّـاً لا يـدوم
مـثـلما يـفـنى السـرور هـكـذا تـفـنى الهـمـوم

يا ابناء الوطن

نحـذركم من اربعـة أمـور وهي : **التعنت والتحكم والتعصب والبطل** . فإنها ليست من الخير في شيء . وننبهكم إلى الكلمة الـذهبية وهي : كما تريـدون ان يفعل النـاس بكم افعلوا انتم ايضاً بهم هكـذا . ونذكركم في أمـر : وهو إنـه ليس للإنسـان وطن حقيقي في هذا العـالم بل وطنـه الحقيقي في عـالم الأرواح وراء القبـر حيث يبقى إلى ان ينفـخ في الصور ويحشر للمحاكمة وما اكثر الذين ذهبوا من اخوتنـا بهذه السنة إلى ذلك الوطن الثابت . تعددت الأسباب والموت واحد . فسبيلنا الاستعداد لذاك الوطن وذلك اليوم .

من محب للوطن

نفير سورية او الوطنية الخامسة

بيروت في ١ ت٢ سنة ١٨٦٠

يا ابناء الوطن

أشرّ ما يوجد تحت قبة الفلك الحروب وأشرّ الحروب واقبحها واشنعها الحروب الأهلية الثائرة بين أهالي بلاد واحدة التي تنتج في الغالب عن أسباب زهيدة ولأجل غايات دنية وذلك لأنها فضلاً عن مضادتها لحقوق العدالة وتعدّيها على حقوق من بيدهم زمام الأمور تنافي كل المنافاة اكرم والطف واسمى واشرف الحقوق والحساسيات الإنسانية كحقوق الجيرة والأخوة الوطنية والشكر والمودة والألفة المنغرسة طبعاً نحو الجار وابن الوطن في مَن استوفى حقوق المروءة والإنسانية . ومن أشرّ الحروب الاهلية الحرب التي اضرمت نارها ورشقت سهامها هذه السنة فعطلت هذا المقدار من المصالح والصوالح الدينية والأدبية والمدنية وكلفت البلاد والعالم اجمع هذا المقدار من الأثقال والخسائر والمصاريف والمخاطر.

يا ابناء الوطن

بماذا نعتذر عن ابناء بلادنا أمام الأجانب غير الغباوة وعدم التمدن

وغلبة شهوة النفس على قوى العقل . وربما قام أمر وجودهم في ظروف
خارقة العادة مقام عذر يقبله كرام الناس . فماذا ينتظر من بلاد سكانها
لفيف من قبائل شتى مختلفة المشارب والأمزجة والأغراض والصوالح
اكثرهم لا يهمهم صالحها العمومي وكثيرون منهم لا يشعرون بأنها
وطنهم وقد وجدت في موقع متوسط بين بلدين كثيراً ما تجاذباها فكانت
تميل تارة إلى اليمين وطوراً إلى اليسار حتى انه لم يمض عليها جيل كامل في
جهة واحدة ولسوء حظّها قد وجدت في كلا الحالين في اطراف البلاد
بعيدة عن مركز الحكومة أي عاصمة المملكة ونظرها متروكة لرحمة اقوام
يخبرنا التاريخ وقد اخبرنا اسلافنا بأنهم كثيراً ما اساؤوا التصرف في حق
مأموريتهم فأوقعوا فيها الفساد والخراب . وهي مع ذلك مسقط رأس
ومرسح اغراض مدنية ودينية متنافرة كل التنافر وذات اصول وتنظيمات
متناقضة بينها، وبينها بون عظيم . ولا نعلم بوجود بلاد غير هذه البلاد
ألقاها الدهر في ظروف كظروفها فبقيت عامرة نظيرها وبقيت اهاليها
محافظة على ما لا نزال نراه في اكثر اهالي هذه البلاد من مكارم الاخلاق
والشيمة والنخوة والمروءة والحماسة وغيرها من المزايا والخصال التي تقوي
الآمال بتقدمهم وتمدنهم إذا وضعوا تحت تنظيمات توافق الأيام والأحوال
ويقصد بها خير البلاد وراحة العباد . فهل يسع من لاحظ ما ذكرناه حق
الملاحظة مع نفي الميل والغرض ان لا يسبل ذيل المعذرة على ما يراه في
الأهالي من التباعد والتقصيرات ويحتج عما يراه في سياستهم وادارتهم من
الارتباك والصعوبات .

يا ابناء الوطن

اننا فاتحون امامنا كتاب اخبار هذه البلاد نُقَلّب صفحاته ونتفقد ما
جرى فيها من الحوادث لنستدل مما مضى على ما يأتي واننا بكل أسف نقول
انه مملوء من الحروب والنكبات وان الغرض الذي من اشهر أوصافه
عندكم انه اعمى يكاد يوجد كنقطة سوداء قبيحة المنظر على حَدَقة كل
صفحة من صفحاته حَالّاً بجسارة ووقاحة محل حب الوطن . وهذا المبدأ
الحيواني الخبيث الموروث من البرابرة كثيراً ما رفع رأسه وهاج مزبداً في

احسن ازمان هذه البلاد واكثرها راحة ونجاحاً وخصباً وسلماً فأوقع فيها
الخراب والوبال وبدَّد المال والعيال . وقد وجد في ايام القاهرة قوم من
محبّي الوطن وضعوا على رأس الغرض حجراً كبيراً بقصد اضعافه أو
اتلافه ولكن لم تمض إلا مدة قصيرة حتى زحزحت حوادث الأيام ودواهي
الدهر ذلك الحجر فقام ببأس اشد وأخذ يحدث تأثيراته الخبيثة . ويا ليتهم
وضعوا في عنقه حجر رحى وألقوه دفعة واحدة إلى اعمق اعماق البحر .
ومن شأن هذا المبدأ الخبيث ان يتلون في كل دور بلون وينتمي إلى ذوات
معتبرة كقيسي ويمني ثم جنبلاطي ويزبكي . ومن أشنع هيئاته واقبحها
الهيئة التي ظهر بها في هذه السنين القريبة العهد التي انتحل بها القابا قديمة
مقدسة عند اهلها كنصراني ودرزي ثم مسلم ومسيحي لعلمه بما تحت
هذه الألقاب التي كانت في السابق ضائعة تحت القابه القديمة من القوة
السحرية الرائعة تحت ظل المبدأ الذي يسميه اهالي بلادنا علّة الضم وهو
الجنسية ، مرضياً بذلك خواطر من هُم أشد سطوة من رؤساء الأغراض .
وهكذا صارت قوته اكثر من مضاعفة ومفاعيله خارقة العادة . وفيما كنا
ذات ليلة حالكة الظلام نراقب من هذه المدينة سلسلة اللهيب الهائل
المتصاعد من متن لبنان كأننا رأينا لهيب الغرض قد تصاعد مع لهيب
البيوت . فإذا صح ما قد توسمناه فابشروا بالرغد والراحة والأمان بعد
وفاة المرحوم فنعزيكم به ونطلب إليكم ان لا تتأسفوا لفقده . واما ما كثر
جريانه على الألسنة وهو من لا غرض له فليس له دين فهو موروث خلفاً
عن سلف من أقوام برابرة يقوم دينهم بالغرض ويا ليت شعري ما هي
فائدة الدين الذي يكون الغرض قوامه .

يا ابناء الوطن

طالما سمعناكم تقولون هذه ثالث خربة في برهة أقل من عشرين
سنة . فها قد جربتم مرة بعد مرة الحروب الأهلية وحسبتم ارباحها
وخسائرها . فماذا ربحتم؟ هل صار احد منكم ملكاً أو مشيراً أو وزيراً أو
علا رتبة ومقاماً أو زاد شهرة ومالاً؟ . وماذا نتج إلا الترمّل واليُتم والسَفَالة
والفقر والخراب دينا ودنيا والمذلّة والصغر في أعين العقلاء والأجانب

وتقليل عدد الأيدي التي يتوقف على كدّها وجدّها عمار البلاد وراحة العباد وتيتيم البلاد ممن هم أعقل وأقدر وأغنى وأنبه رجالها . والآن افما هو الأوفق لصالحكم ان تبدّلوا الغرض الأعمى الذي ليس هو إلا اسماً الطف لحب الذات المفرط بحب الوطن والمودة والألفة والاتحاد التي عليها يتوقف نجاح البلاد وتخزوا الشيطان الرجيم وتمدّوا بساط المروءة وتذكروا الألفة القديمة وتجرّدوا ساعد الهمة لتخفيف هذه المصائب وتعويض هذا الخراب وتكونوا يداً واحدة في صالح الوطن عالمين ان بعضكم لبعض سياج لا عدو . أما ينبغي ان يكون هذا الصوت صوت عقلائكم ورأي كل من يريد خيركم ولا يترك طرف الحساب لعواقب الأمور . فعلى المذنبين المتعدين منكم إذا ان يؤدوا ما عليهم من الحقوق بسهولة وعن رضى وطواعية ، وعلى المظلومين ان يطلبوا حقوقهم بروح اللطف والرفق والحلم وذلك بواسطة اولياء الأمور الذين سلطتهم هي من الله ولم يتقلدوا السيف جزافاً . يا ابناء الوطن ذلكم اصلح لكم .

يا ابناء الوطن

كثيراً ما جال في خاطرنا قبل وقوع ما وقع ان نلقي هذا النفير بينكم ننبهكم به إلى شرّ نتائج الحروب الأهلية ولكننا لدى ملاحظة الأحوال والنظر إلى ان الأهالي في رأسهم موال لا بد من ان يغنوه قلنا وقال غيرنا من العقلاء ان رخومة صوت نفير مُحبّ للوطن تغطيها خشونة اصوات طبول الغرض والغايات . فعدلنا .

والآن فإذ قد رأينا لهيب الغرض بعيننا قلنا لا بأس من جبر ما نتأسف على فواته بما يلوح لنا انه يكون خدمة جزئية للوطن عسى ان تحوز القبول لديه بما بها من القصور والتقصير . فعلينا الكتابة والتذكير وعليكم التصفح والتفكير وعلى الله النتائج والتدبير . واطال الله تعالى بقاءكم .

من محب للوطن

نفير سورية او الوطنية السادسة

بيروت في ٨ ت٢ سنة ١٨٦٠

(خسائر الوطن وأرباحه)

يا ابناء الوطن

أن الخسائر والأضرار اللاّحقة بالوطن هذه السنة بسبب الحركة الأخيرة هي باهظة جداً يصعب على العقل الثاقب تصورها وإدراكها وتحتاج إلى قلم حاسب ماهر لأجل رقمها وضبطها . وهي تنقسم إلى خسائر مادية ، وفيها بحثنا الآن ، وإلى خسائر أدبية وسيرد بيانها ان شاء الله تعالى . أما الخسائر المادية فمنها ما اتلف بواسطة الحريق والهدم والتعطيل والقطع من بيوت الوطن ومواسمه وغلاله ومحاصيله وأمتعته ومواشيه وهلمّ جرّا وما خرج منه بواسطة الرشوة أو الخيانة أو البلص أو طرق أخرى خارج البلاد . وأما ما بقي بيد الغاصبين من أهالي الوطن من كل ما تقدّم ذكره ومما لم يذكر فهذا لا يحسب في الحقيقة من خسائر الوطن لأنه باق فيه ومن ثم كان غير داخل في هذا التعديل . فإذا جمعنا قيمة ما أحرق من البيوت وقدره ثلاثون الف بيت أو منزل تقريباً إلى قيمة ما أتلف من الأبنية والمواسم وهلم جرا وذلك في كامل البلاد يكون المجتمع نحو ٣٦٧٠٠٠٠٠٠ غرش ثلثمائة وسبعة وستين الف الف غرش أي ثلاثمائه

وسبعة وستين مليوناً افرنجياً وذلك بقدر مدخول سورية من موسم الحرير في ثلاث سنين ونصف تقريباً على حساب الفي قنطار في السنة . وهذا التعديل وان يكن تقريبيا فهو مأخوذ على الأكثر من مفردات قد بذلنا الجهد في جمعها ممن يوثق بهم ولم نشأ أن نذكر تفاصيلها لئلا نفتح باباً لتقولات واعتراضات لنا غنى عنها . وبما ان قيمة الأشياء في أعين أصحابها تكون دائماً إلا في ما ندر اكثر مما هي في عين ذاتها أو في عين مقوّم غريب مهما كان خالي الغرض ، لا يغرب أن يظهر مجموع ما يتقدم من قوائم المتلفات من هذا القبيل اكثر مما تقدم . وزد على ذلك ان الأهالي اذ كانوا لا يركنون بأن ضائعاتهم إذا قدمت بها قوائم صحيحة تقبل من دون تنزيل أو مع تنزيل خفيف ربما تصير الزيادة فيها لكي يصل أربابها إلى الحق أو إلى ما دونه ، كما بلغنا إنه حدث قبل هذه المرة . وعلى ذلك يكون الذين يعتمدون الصدق في قوائمهم في خطر واضح من الخسارة . ويا ليت الجميع يتفقون على تقديم قوائم صحيحة ولو خسروا لأن الخسارة مهما كانت باهظة هي مع الصدق احسن واقبل واشرف من الكسب مهما كان مفرطاً مع عدمه . ويا ليت لنا رجلاً نبيهاً عاقلاً يقدّم وجهاً لحل هذا المشكل والتوفيق بين الضمير والكيس . ولكن الوجه الذي يقدمه مهما كان لا يجدي نفعاً إلا إذا كان الإركان متبادلاً بين الأهالي والحكومة أو المسبّبين الذين تطلب منهم هذه الأضرار الباهظة شرعاً وعرفاً وديانة وسياسة .

يا ابناء الوطن

إن الخسائر المارّ ذكرها مهما كانت باهظة وجسيمة لا تعجز قدرة الملوك عن تعويضها كلها أو بعضها دفعة واحدة أو دفعات ولا يصعب على الأهالي سلوها أو تعويضها بواسطة الجد والاجتهاد مع بركة الله . ولكن توجد خسائر لا تقدر ملوك الأرض قاطبة إذا اجتمعت بكامل رجالها ومالها وتدبيرها وإرادتها ان تعوض منها حتى ولا جزءاً صغيراً . فيا ليت شعري من يستطيع أن يرجع أبا ليتيم أو زوجاً لأرملة أو ابناً وحيداً

لشيخ عاجز أو ابنة عزيزة لعجوز بائسة . ان الله وحده هو أبو اليتيم وحاكم الأرملة وعضد العاجز وسند البائسة وهو وحده قادر أن يبرد لوعة افئدة هؤلاء المساكين ويعزّيهم ويجبر قلوبهم المنكسرة ويضع بَلْسَماً على جراحاتهم العضالة . ومعلومكم ان الخسائر من هذا القبيل ليست بقليلة . فإن الذين أكلهم حد السيف والذين قتلوا هدراً وغدراً وقصاصاً والذين ماتوا لسبب الرعبات والمخاوف ورداءة المعيشة والاتعاب والأطفال الذين ضحتهم شهوات الاردياء الخبثاء وذهبوا شهداء لبربرية أقوام متوحشين وقد كنا نؤمل انهم يكونون جيلاً جديداً بعدنا يفوقنا في التمدن والمعارف والآداب فهؤلاء جميعاً من جميع الفئات يبلغ عددهم نحو عشرين الفاً . وكلما غابت شمس يزيد العدد وكلما اشرقت شمس ينقل كثيرون من دفاتر الأحياء إلى سجلات الموتى . ولو فرضنا لهؤلاء ديّة لبلغت ستمائة الف الف غرش على الأقل . ولكن حاشا لنا ان نعين قيمة لبنية الله الكريمة التي لا يوازيها ثمن ولا يعادلها العالم المادي بأسره . ويا ليت الخراب وصل إلى نهايته ووضع حد لهذه المصائب والخسائر لكي نختم حسابها . ان أحوال المستقبل إلى الآن مظلمة . نعم ، مظلمة جداً ومجهولة عندنا . وكم نرغب أن يفتح لنا أبواب لأن نترجى اموراً أحسن . ولكن إلى الآن لا نعلم متى يأتي الوقت الذي تشرق فيه شمس الراحة والأمنية في سورية اشراقا لا غياب بعده . نسأل الله أن ينظر باللطف والرحمة نحو هذه البلاد المنكودة الحظ .

يا ابناء الوطن

من جملة الخسائر المادية تعطيل اراضي كثيرة هذه السنة لعدم وجود الابقار والبذار وذلك مما يبقي كثيرين من الأهالي على أبواب الإحسانات ويضاعف المصيبة . ولكن مَن يضمن لنا هذه الأبواب تبقى مفتوحة ولا تسد بغلقات حديدية وأقفال نحاسية قبل نهاية فصل الشتاء الذي صار على الأبواب . وكيف تكون حالة كثيرين من هؤلاء المساكين الذين ألقتهم صروف الدهر ودواهي الزمان على اكتاف الأجاويد . ومنها تعطيل نحو

خمسين الفاً من أصحاب النشاط والجد مقدار نحو ستة أشهر ماضية ولا نعلم متى تنتهي . ومنها تعطيل المتاجر والأسباب والصنائع . وأي قلم يقدر أن يحصي الخسائر الناتجة من هذه الأبواب . فإن سورية التي كنا نراها منذ نحو ستة أشهر بنوع ممتاز عن باقي المملكة زاهية زاهرة ذات رغد وراحة وتقدم عجيب في العمار والغنى قد سقطت . نعم ، سقطت وا أسفاه! سقوطاً هائلاً لا يؤمل نهوضها منه إلا بعد سنين عديدة إلّا إذا حصل ذلك بأعجوبة أو بطريقة خارقة العادة . ومن فتح دفاتر مالية الممالك ووقف على المبالغ الجسيمة الموضوعة تحت هذه الطلبة وهي من مسألة سورية إلى صندوق المالية ورأى ايضاً ان هذا الباب لم يرصد بعد ، لاطّلع على باب جديد من الخسائر المادية اللاحقة بسورية وحكم بأنها لا تقدر على وفائه ولو باعت نفسها وكل ما تملكه إلا إذا قبل تسديد هذه الطلبة بطلبة أخرى وهي من صندوق المالية إلى ممنونية سورية فأنه ينفتح حينئذ باب للأمل بأنها ستنهض من تحت هذا الدَّين المادي الباهظ وتبقى تحت دين أدبي للدول ما دامت حية . وأما ما يراه في مقامات خارجية الممالك من دفاتر تبعة الأجنبية في سورية من مسلوبات ومتلفات وتعطيل وقت وتوقيف متاجر وهلم جراً مع التدريك بكل عطل وضرر ومصروف حصل أو سيحصل . فهذه المبالغ الجسيمة لا يؤمل تسديدها بممنونية سورية كما لا يخفى .

يا ابناء الوطن

لا ينبغي أن نخرج من هذا البحث قبل ذكر بعض ارباح وهمية حصلت لسورية في هذه الحركة . فمنها الإحسانات الوطنية . وهذه بما انها باقية في الوطن قد قيدناها في الـ «مِن» والـ «إلى» من حساب الوطن وهكذا سدّدت بعضها بعضاً . وهذه الإحسانات مع انها في ذاتها كبيرة القيمة اكثرها صامت أصمّ مستتر واكثر مفرداتها دقيق جداً لا يكاد يرى حتى ولا بالنظارة المكبّرة . ومن لاحظ أمر اشتراك اكثر الأهالي في هذه الضربة لا يسعه أن ينكر ان كثيرين منهم قد حملوا فوق طاقتهم كما إنه لا يسعنا أن ننكر بأن كثيرين من الاغنياء إلى الآن لم يشتركوا بهذه البركة .

وهؤلاء يجمعون ولا يدرون لمن يجمعون وسيدفعون ما حبسوه وقطعوه عن أفواه المحتاجين مع كامل غناهم دفعة واحدة لقوم لا نعلم إذا كانوا يدعون لهم بالرحمة . وأما احسانات الدولة وقدرها نحو خمسين الف كيس فهذه إذا حسبناها قرضاً أو سماحاً أو وفاء عن ذمة قوم مذنبين يجب تقييدها في الـ «مِن» والـ «إلى» من حساب الوطن لما لا يخفى ولأن في كل بلاد متمدنة ينبغي أن يكون غنى خزينة الحكومة وفقرها من غنى الرعايا وفقرهم وبالعكس . وأما احسانات اوروبا وأمريكا وقدرها خمسون الف كيس تقريباً ، وهي التي لولاها لهلك كثيرون من المنكوبين جوعاً ومن سوء المعيشة . فهذه يجب ان يقابلها ممنونية قلبية خالصة من الجميع . وبما أن قيمة كذا ممنونية تكون دائماً ضعف الهدية يجب تقييد ضعف هذه الإحسانات على الوطن . واملنا ان اهالي بلادنا لا يصرفون النظر عن الآية السامية وهي : طوبى للذي يعطي اكثر من الذي يأخذ . بل يجتهدون في ان يكونوا احياناً مصدر قنوات العطاء كما كانوا مصبّ انهره .

ومن اطّلع على الحقيقة وهي ان هذه الإحسانات ليست إنعامات ملوك ولا عطايا دول كما يتوهم البعض أو بالحري يريدون ان يموهوا بأنهم يتوهمون، بل انما هي قرابين وعطايا افراد اكثرهم رعايا نظيرهم ونتائج كدّ أرامل ويتامى ونكران ذات أولاد صغار وعرق جبين فَعَلَة وصنائعيّة لقطر قلبهم دماً عند تناولها ولما ابدوا شيئاً يدلّ على تهاونهم بلقمة الوجع واستحلالهم لفلس الكدّ والتعب . فيجب والحالة هذه ان يكون الضمير الحيّ المنتبه واقفاً على كتف اليد المبسوطة لتوزيع هذه الإحسانات وفوق كفّ اليد الممدودة لأخذها وأن تعطى بالحلم والبشاشة وتقبل بالشكر والأمانة . وأما ما يتراءى ان البعض يريدون الحاقه بنتائج حركة سورية وهو قيام حركة أو حرب عمومية في العالم وتكميل خرابها بسبب ذلك فنظن انه وهم ليس له أساس متين . وما يظهر لنظرنا القاصر من الاتفاق في الغاية وهي راحة سورية وعمارها يحملنا على جناح الأمل بحصول الاتفاق في الوسائط المبلغة إلى نوال تلك الغاية والا يلزمنا الحكم بأن العالم قد شاخ وخرف وان نجاري بعض منجّمي هذه الأيام الذين

بواسطة مراقباتهم ورصدهم قد حكموا بأن القيامة واليوم الأخير قد صارا على الأبواب وإذا صح ذلك فلا يجب أن نتأسف على فوات الوقت ولا طولة المدة. لا، ولا على كل ما حصل وما سيحصل من الأضرار والخسائر.

يا ابناء الوطن

ان هذه الحركة لا بد من انها تكون قد احدثت في حاسّياتكم تأثيرات قوية جداً. فإن كانت هذه التأثيرات قساوة القلب وزيادة الانهماك في الخطيئة والتوغل في المعاصي والإصرار على التهاون بالواجبات الدينية والأدبية والمدنية فأجمعوا إلى الخسائر المارّ ذكرها اضعافها. لأن الله سيثقل يده ويضاف خراب روحي إلى الخراب الزمني. ولكن ان كانت هذه التأثيرات التوبة إلى الله وتنكّب المعاصي والبغضاء والعداوات واصلاح السيرة والسريرة واعتبار نصوص ومبادىء الديانة، فاطرحوا هذه الخسائر من اضعافها لأن الوطن يكون قد ربح ارباحاً جزيلة فائقة وتكون هذه الضربة المسببة عن شر الخطيئة وفساد القلب قد استخدمت كآلة لجلب بركات روحية من قبل الله عليكم وعلى اولادكم وبلادكم لا بد من ان يعقبها بركات زمنية. إذا اطعتموني وحفظتم وصاياي، يقول الرب، ستأكلون خيرات الأرض وان لم تطيعوني يأكلكم حد السيف. يا ابناء الوطن اعتبروا ذلك حق اعتباره ولا تقولوا إن هذا الوقت ليس هو وقت ديانة أو لا حياة لمن تنادي أو كأنك تضرب في حديد بارد أو ما أشبه من الأقوال التي ليست إلا وساوس يوسوس بها عدو خيرنا الذي يزأر كالأسد ليفترسنا. فعلى الموعوظين الأصغاء وعلى المرشدين والواعظين الانتباه وعدم تضحية خير الأنفس على مذابح خير الأجساد لأن هذا هو الوقت المقبول، هذا هو وقت الخلاص. استيقظوا! استيقظوا! لماذا أنتم نائمون ومتغافلون، يا رعاة اسرائيل وقادة الشعب. ها أسود ضارية مقبلة لتفترس الرعية والرعاة أيضاً.

من محب للوطن

نفير سورية او الوطنية السابعة

بيروت في ١٩ ت ٢ سنة ١٨٦٠

(خسائر الوطن الأدبية)

يا ابناء الوطن

وأما الخسائر الأدبية اللاحقة بالوطن بسبب الحركة الأخيرة فهي كثيرة ومتنوعة وذات جرم أعظم ونتائج اشر من الخسائر المادية المارّ ذكرها في نشرتنا السابقة. فمن هذه الخسائر خسارة الألفة الموروثة عن الآباء والأجداد. وهذه الخسارة هي في عين ذاتها جسيمة جداً إلا إننا بكل أسف نقول أن رأس مال الوطن من الألفة الوطنية قبل اشتعال نيران الحرب الأهلية المتأخرة كان في عين منتقد حاذق خبير بأحوال البلاد قليلاً وزهيداً جداً. ومن ثم كانت خسارة الوطن من هذه الحيثية تقوم بزيادة التباعد والتنافر بين فئة وفئة وبين أفراد فئة واحدة أكثر مما تقوم بخسارة الألفة. والذين راقبوا جيداً أحوال البلاد قبل وقوع ما وقع ولاحظوا ما انطوت عليه القلوب من الغلّ والاحقاد كانوا يتنبأون بأن تلك الغيوم المظلمة الكثيفة لا بد من أن يعقبها أوحال رديئة وأوضار خبيثة. وان أقذار البغضاء والاغراض الشديدة الكامنة في الصدور منذ سنين عديدة ستنفجر في وقت ما عن أدنى سبب باندفاع قوي فتخرب وتهلك ما

تصادفه في طريقها من البلاد والعباد. وذلك لأن الجرح البليغ الذي أحدثته خيانة ما سلف من الحروب والحركات كان قد ختم على زغله وغلّه قبل تنظيفه من المواد الخبيثة والدم الفاسد فبقيت الأفئدة كاظمة حقدها وغيظها تترقب فرصة مناسبة لترشق بسهامها الحادّة اعداء سطوتها وصولتها ومقاومي ارتقائها وراحتها. وقد ابقت تلك الحروب الرديئة قاتل الأب امام ابنه وقاتل الابن جاراً لأبيه وناهبة الأم قبالة بنتها وشاتمة البنت في جوار امها وقلنسوة زيد على رأس عبيد وقلادة هند في جيد دعد لتكون مع أمور اخرى منخساً حاداً ينبه عند الاقتضاء تلك الحاسيات الرديئة التي كانت ساهية لا نائمة بواسطة الغناء والهدهدة. وماذا ينتظر من قوم وجيران هذه تعاسة حالهم ليس لهم حكمة دينية ولا أدبية ولا مدنية تلجمهم بل بالحري قد استعملت من دون انقطاع وسائل متنوعة لتمكين متانة العداوات وتكثير كثرة الانقسامات والأحزاب بينهم، وذلك عن اسباب ولأجل غايات لسنا عمياً عن نظرها ولا مغفلين عن ادراكها بكامل ظروفها.

يا ابناء الوطن

لا يخفى ما يكون من الخطر على بلاد أو دائرة لم تنظف من رجال الدماء أو اطلق فيها العنان لقوم تعودوا شرب الدماء والسلب يتوارثون ذلك طبعاً وتطبعاً خلفاً عن سَلَف وقد اختبروا بأنفسهم مراراً متوالية حلاوة ذلك وسهولة مراسه حتى لا نقول ما غُرّوا به من حسن عواقبه. فهل يمكن لبلاد هذه تعاسة حالها وهذا شأن سكانها ان تبقى زماناً طويلاً في حالة السلم والالفة والصلح والراحة. ان الواقع يبرهن استحالة ذلك بكل صراحة ووضوح. وان سكت نطقت حجارة سورية بملء فيها ودماء أهلها بأعلى صوتها ولا نسلّم بأن حاسيّات الأهالي قاسية صلبة لا يؤثر فيها سيف ولا رصاص مع اننا نرى حاسيات اصحاب المرامات هي في اعلى درجة من الانتباه وحاسيات كثيرين ممن خلوا منها من الطف الحاسيات وأرقّها. وأملنا ان الأمور هذه المرة لا تدخل في حكم مضى ما مضى كما حصل سابقاً وكما كانت على همّة الحصول قبل حلول ركاب صاحب

الدولة والاقبال فؤاد باشا المعظم، بل ستكون العلاجات اقوى وأفعل والخاتمة أحسن وأثبت. وهذا الأمل ليس عن غير أساس كما لا يخفى مع ما نراه من المطل والتطويل. وكأنّي بلسان حال الأيام بقول وقد أدلع لا اعتداداً بقول الشاعر:

وربما فات قوماً جلّ امرهم ... من التأنّي وكان الحزم لو عجلوا

يا ابناء الوطن

ان الالفة ضرورية لحفظ الوطن وبقائه كما انها ضرورية لعماره ونجاحه. وقد عرفنا بالامتحان ان خسارتها هي من أعظم الخسائر واشرها. وربما سأل سائل: وهل إلى رجوع الألفة في هذه البلاد من سبيل وقد جرى ما جرى؟ وقال الشاعر:

إن القلوب إذا تنافر ودّها ... مثل الزجاجة كسرها لا يجبر

ولا يخفى أن في هذا البيت من المبالغة بقدر ما فيه من الحكمة ولعل قائله جاهلي قد فاته كونه منقوضاً بشهادة التاريخ ومردوداً بالاختبار العام إلا فيما ندر. ولما كانت الألفة خلافاً للتنافر غريزة قد طبعت عليها طبيعة الإنسان ومن ثم سُمّي انساناً من الانس وهو ضد الوحشة لا من النسيان خلافاً لما كثر جريانه على الألسنة، وكانت ضرورية لقيام نوعه ورواج مصالحه ورفاهية حاله، كان أملنا برجوع الألفة مع التمادي على الأقل قوياً جداً. وعلى ذلك غَيَّرنا البيت إلى الصورة الآتية وهي:

ان القلوب إذا تنافر ودّها ... ليست زجاجاً كسرها قد يجبر

هذا ولا يفهم من كلامنا بعدما تَقَدَّم اننا نريد رجوع الألفة مع سفّاكي الدماء عمداً لأن ذلك لا يطلبه عاقل يفضّل صالح الجمهور وخير البلاد على صالح فرد أو جماعة من الأفراد. ولا يخفى إن رجوع الالفة لا بل وجودها وثباتها ونموّها تتوقف على أمور أخصّها ما يأتي وهو:

أولاً، أديان حية منتبهة تنظر وتعلّم بنيها ان ينظروا إلى من يخالفهم في أمر المذهب لا بعين الاحتقار والبغضة كما هو الواقع إلا فيما ندر بل

بعين الاعتبار والمحبة كأعضاء عائلة واحدة أبوها الوطن وأمها الأرض وخالقها واحد هو الله وجميع اعضائها من طين واحد قد تساووا في المصير إلى مآل واحد انما يفضل احدهم الآخر في العلم والتقوى والعقل والفضيلة ومراعاة حقوق الإنسانية والجيرة لا بالاسم والانتماء إلى فئة دون فئة. ان الإنسان بأصغريه قلبه ولسانه. ولا نعرف من الأحكام إلا طاعتها وتأدية حقوقها وواجباتها. ومن طالع تواريخ الملل والشعوب يظهر له جلياً ما يلتحق بالناس والأديان نفسها من الأضرار من تعرّضها لأمور السياسة ومزجها الأمور الدينية بالأمور المدنية والحال انه يوجد بينهما طبعاً بون عظيم. وكم كان لهذا المزج الذي ينبغي ان يكون غير جائز ديانة ولا سياسة من اليد في الخراب الحالي الله يعلم وأنتم تعلمون، ومحبّ الوطن، إذا لم يكن من زمرة المغفّلين، فهو ايضاً يعلم.

ثانياً، أحكام صارمة مستيقظة قادرة على توقيف كل واحد في حده وغير مظهرة افتقارها إلى مساعدة أدوات خارجة عن دائرتها المنتظمة، تنظر إلى جميع أصناف التبعة نظراً متساوياً ولا تعرف من المذاهب إلا اعطاء المتمسّكين بها حقوقهم الدينية والأدبية والمدنية والمحاماة عن تلك الحقوق بأعتبار كونها حقوقاً لا باعتبار انتسابها إلى شخص أو فئة مخصوصة.

ثالثاً، شرائع متفقة وتنظيمات عادلة توافق الأحوال والاماكن والازمان غير ممتزجة بالشرائع المذهبية تنظر لدى المحاكمة إلى الدعوى لا الشخص.

رابعاً، نفي الغرض الأعمى بحيث لا تؤخذ عائلة بذنب واحد منها ولا فئة بذنب بعض افرادها ولا يؤخذ وطن بذنب بعض بنيه مع صرف النظر عن كل ما حصل من المعروف والمساعدة من باقي الاعضاء وعما اتّصفوا به من المحاسن والانسانية. ولما كان الناس يميلون طبعاً إلى شجب جنس برمته والطعن فيه لأجل نقائص وعيوب بعض افراده كان الاحتراز من الوقوع في هذا المحذور من أكبر الوسائل لحفظ الألفة التي

نحن في صددها. فعلى ما يظهر لنظرنا القاصر ان نجاح كل بلاد ورفاهيتها وعمارها، ولاسيما هذه البلاد التي قويت فيها عناصر الانقسامات، تتوقف كثيراً على هذه الأمور وان فقدها كان من أكبر الأسباب لحصول ما حصل فيها من الخراب وما هي عليه من التأخر.

يا ابناء الوطن

يسرنا جداً ان نرى كثيرين منكم يرجعون إلى اوطانهم وان نرى البعض منكم قد شرعوا في ترميم مساكنهم وتعمير بيوتهم ومما يزيدنا سروراً الأمل بأنكم هذه المرة ان شاء الله تعالى لا تبنون للخراب ولا تجمعون وقوداً لنيران الحرب التي لا تصل إلى مأوى العيال إلاّ من أيدي قوم برابرة كما حصل فيما مضى. ولولا ذلك كنا نشور عليكم ان تبنوا بالأجر عوض الحجارة وتسقفوا بالحجارة عوض الخشب والجسورة. ولعلمنا بأن نجاح أموركم يتوقف على الاختلاط والامتزاج وبأن نتيجة ذلك تكون الألفة والاتحاد، نؤمل مع ما يرد علينا من الاعتراضات والمناقضات ان شيئاً من الألفة سينبت ان شاء الله تعالى مع الزرع وينمو بنموها وكثرة الامطار الباكرة هذه السنة تبشّرنا بالخصب وجودة المواسم وذلك مما ينسينا شيئاً من المصائب الماضية. ونبشر المصابين منكم ان هدايا الشفقة وقرابين الإنسانية لا تزال تقدم صُبَراً صُبَراً على جناح البخار من كل صقع وفجّ عميق. وهكذا كما ان الأب يضرب ابنه باليد الواحدة لأجل تأديبه وخيره ويتلافاه باليد الأخرى لأجل إقناعه بكونه يحبّه ولا يقصد الانتقام منه. هكذا فعل الله سبحانه وتعالى بالوطن، فإنه بعدما ضَرَبه هذه الضربة القوية الموجعة حرَّك قلوب محبّي الخير إلى الشفقة عليه حافظاً هذه المدينة ومن بها من أصحاب الرحمة والرأفة ملجأ يأوي إليه المضنوكون ويقصده البائسون وموصلاً بين العالم الجديد والعالم القديم لتناول ومناولة ما يرد من الامدادات والإحسانات منبّهاً الناس بواسطة أعمال عنايته هذه الفائقة وجودته الباهرة إلى الرجوع عن غرورهم والإتيان إليه عز وجل.

من محب للوطن

نفير سورية او الوطنية الثامنة

بيروت في ١٤ ك ١ ١٨٦٠

(تابع خسائر الوطن الأدبية)

يا ابناء الوطن

ومن الخسائر الأدبية اللاحقة بالوطن خسارة ما نسميه بالشيمة أو شرف النفس. وكثيراً ما رأينا محبّ الوطن مطرقاً بنظره إلى الأرض ولاسيما في هذه الأيام عند فتح الأجانب لهذا البحث، وذلك لا جبانة وخوفاً بل حياء وخجلاً. وطالما اعتذر عن اخوته في الوطن بكون المصاب يخرج عن الصواب محتجّاً بأن ذلك هو حال اكثر الناس عند وقوعهم في مصائب كبرى إلا ان الطاعن كان يدفع ذلك بقوله: إن تلك غريزة قد جُبلت عليها طبيعة العرب مع صرف النظر عن الحادثة الحالية. وربما سلّمتم بأن تلك حجة قوية يصعب على من أراد التكلم بالحق وتجنب المحاولة في الجدال ان يدفعها رأساً. ومالنا وللنوادر فإنها لا تعتبر ولا يبنى عليها حكم. ولعل مكارم اخلاق القاذف تعذرنا شيئاً لدى تحقيق النظر في احوالنا المخصوصة وما كنّا فيه جيلاً بعد جيل من المذلّة التي لو وجد هو نفسه فيها مدة مستطيلة نظيرنا، لما حسب من الأمور المستغربة وقوعه في حالة دنيّة وذليلة نظير حالتنا. وعسى ان ينتبه ابناء الوطن ويتصرفوا فيها

يأتي تصرفاً من شأنه ان ينهض بهم مع التمادي من حالتهم الساقطة ويحملهم على اعتبار أنفسهم إلى درجة تكسبهم اعتباراً في أعين الآخرين فيمحوا شيئاً فشيئاً الوَسم الذي وسمتهم به الحوادث السالفة من هذا القبيل.

ومنها خسارة الصدق والتصديق. وكأني بواقف على هذه النشرة من الأجانب يقول: عجباً، ماذا يعني محبّ الوطن بهذه العبارة؟ فهل كان لابناء وطنه قبل الحركة الحالية صدق حتى يصح القول انهم قد خسروه بسببها ومَن من الناس كان يصدق ابن عرب مهما كان غنياً أو رفيع المقام أو شريف الأصل. وذلك مشهور كنار على علم. فكيف وبماذا ندفع طعن طاعن في جنس برمّته مع ما نراه من المطابقة بين كلامه والواقع وعلى الخصوص إذا نظرنا للجنس نظراً اجمالياً. ولعل ابناء وطننا لا يسرّهم ان يرونا نرتكب في المحاماة عن جنسنا ما من شأنه أن يحسب من هذا الباب بعينه. وبينما كنت ذات يوم أحدّث رجلاً يطعن في الجنس العربي ويقذف العرب بكونهم كذّابين غشّاشين من دون استثناء ولا مراعاة ضمير، هاج بي الدم العربي وقلت له بحماسة وحمية دفعاً لحمّة لسانه: ان الكذب والغش طبيعيان في جميع الناس والأجناس، واستعنت في إثبات قضيتي بما ورد في كـ[illegible]م الرسول وهو قوله: ان جميع الناس كذّابون. ولم أكتفِ بذلك بل أردفته بقولي: ان كذب العرب ربّما كان أكثر من كذب باقي الأجناس باعتبار العدد والكمية وذلك لأنهم يكذبون عفواً ومن دون رويّة ولا حكمة، كما هو دأبهم في باقي الأعمال. وأما كذب باقي الأجناس فربما كان أعظم من كذب العرب من حيث الوزن والكيفية وذلك لأنهم لا يكذبون إلا عن رويّة وحكمة ولأجل غاية وفائدة. فكأن كذبهم متقن كأعمالهم. ولا يخفى انه مما يلجم ألسنة قوم عن النطق بالكذب أمران وهما: **الديانة وصوت الجمهور**. ويا حبذا لو اجتمعا كلاهما. فأما الديانة أو الأديان العربية فإننا لا نريد أن نمسّها من هذا القبيل خوفاً من أن ندقر حاسيات المتمسكين بها بل نكتفي بأن نحوّل كل صاحب ديانة على ديانته طالبين منه أن يفحص جيداً ليرى هل تبيح له ديانته اباحة مطلقة ارتكاب

الكذب أو تحرّمه تحريماً مطلقاً أو بالحري تجيزه في بعض الأحوال دون بعض وذلك على شروط وقيود مخصوصة. ولكننا نجزم ونقول ان كل ديانة تجيز الكذب لا يمكن أن تكون صحيحة، وذلك لأن الديانة الصحيحه هي من الله الذي هو الحق ومصدره خلافاً للكذب فإنه من ابليس الذي هو كذاب وأبو الكذب والكذّابين. ومعلومكم ان ما يسميه البعض كذباً انشراحياً أو اصطلاحياً أو احتيالياً ويسميه الافرنج بالكذب الأبيض فهو كذب حقيقي أسود وأساس وتمهيد للكذب الجدّي. فإن من تهاون بالصغائر يسقط رويداً رويداً في الكبائر. وأما صوت الجمهور العربي فليس من يستطيع أن ينكر كونه ليس ضدّاً لهذه الرذيلة الخبيثة. والمثل الزقاقي السائر: «الكذب ملح الرجال والعيب على من يصدق» كأنه لسان حال الجمهور في هذا الباب ويمكن ان يستعان به لاثبات ما نحن في صدده. ولما كان الكذب من شأنه ان يحطّ قدر صاحبه أياً كان في اعتبار كل صادق وان يكن كافراً، كان الواجب أن ينفي من كان متصفاً بهذه الخصلة الرديئة من معاشرة ذوي الاعتبار كمن لا يعتبر نفسه وليس عنده شرف ذات. ولذلك لا يستحق أن ينظم في سلك جماعة معتبرة، كما هو الحال في البلدان التي تعتبر الصدق. وهل يوجد في لغة العرب أو آدابهم أو شرائعهم أو عاداتهم أو هيئتهم الاجتماعية أو نسبتهم السياسية شيءٌ يربّي فيهم الكذب أو عدم اعتبار الصدق ويقوّي أركانه بينهم. فربما لا يخفى عن أكثر الواقفين على لائحتنا هذه انه يوجد في كل من الأبواب المذكورة أمور كثيرة من شأنها أن تقوي مباني هذه العادة القبيحة عند العرب أكثر مما يوجد فيها من ذلك عند غيرهم. ولا ريب انه من نتائج قلّة الصدق أو عدمه قلة التصديق أو عدمه. فإن الكذاب لا يصدق ولو اتفق انه ينطق بالصدق احياناً. حُكي انه بينما كان ولدٌ يرعى غنماً لأبيه في حقل بالقرب من بلده إذا به قد صاح: الذئب! الذئب! وذلك على سبيل المزاح والهزل فأقبلت الناس يتراكضون إليه لأجل نجدته فلم يروا هناك ذئباً. ثم فعل هو وفعلوا هم كذلك الثانية ثم الثالثة. واخيراً أتى الذئب حقاً، فصاح الولد مستغيثاً فلم يكن من يجيبه ولا يلتفت إليه فافترسه

الذئب وبدّد الغنم . وكفانا بذلك مثالاً . فمما تقدم بيان ان الصدق والتصديق كانا قبل الحركة الأخيرة قليلين في هذه البلاد وقد زادا قلّة بعد الحركة حتى صار الواحد يظنّ نفسه كأنه في عالم الوهم لا عالم الحقيقة . وذلك أوضح من أن يبين . ولما كان الصدق والتصديق ركنين جوهريين للراحة والأمنية والنجاح في الأعمال والمعاملات ، كان فقدهما من أكبر الشرور وأعظم الخسائر . وعسى أن يغيّر قومنا المثل السابق قولاً وعملاً فيقولوا : «الصدق ملح الرجال والعيب على من يكذب» ، ويتصرفوا بموجب هذا القول لا ذاك . وإلا فيجد محب الوطن نفسه مضطراً إلى أن يقول فيهم بعض ما قاله شاعر أو نبي من كريت عن ابناء وطنه الكريتيين كما ورد في الرسالة إلى تيطس . هذا وان الرذائل كالعلل قد قسمت على البلدان والاجناس فخصص كل بشيء منها فاشتهر فيه دون غيره .

ومن ذا الذي تُرضي سجاياه كلّها
كفى المرءُ نبلاً ان تُعَدّ معائبه

ومنها خسارة الراحة العمومية في البلاد قاطبة . ومن جَالَ في مدن سورية وقراها وطاف في جبالها وسهولها وعلى الخصوص في الأماكن التي كانت مرسحاً للحروب والارتكابات ، لا يقع نظره إلا على مناظر مكدرة في الغاية ولا يسمع إلا أصوات التذمر وعدم الارتضاء وتعاسة الحال حتى يُخيّل له ان الخراب لم يصل إلى حدّه بل لا يزال آخذاً في التزايد ، وذلك على هيئة أخرى ، ويحكم بأن هذه الحركة ربما تكون نتيجتها خلو البلاد من المال والرجال حتى يمسي اهاليها في حالة المذلّة والمسكنة ويصبح اكثرهم فقراء متسولين . نعم ، اننا نرى هناك بيتاً يبنى وهنالك ارضاً تُحرث ولكن نخشى من انه كلّما بُنيت قُبّة خصوصية يهدم مقابلها مزار عمومي . قيل دخل سنور ذات يوم إلى دكان حداد فعمد إلى مبرَد هناك وأخذ يلحسه بلسانه ولما كان يجده من الحلاوة لم يزل كذلك حتى أمسى بلا لسان . فيا لتعاسة سورية وسوء حظّها وقلّة تدبيرها وتغفل أهلها . أما كان الأولى بها ان تسمح مرتضية بتنظيفها من رجال الدماء الذين كانوا

جرثومة الفساد ولا تقع في هذه الحالة التعيسة . فكأن قد قُضي وقُدّر على هذه البلاد أن تكون تعيسة منكودة الحظّ متأخرة ، أو كما يقال : باقية تحت اللعنة ومساعدة في خراب نفسها . وأنها كلما تقدمت خطوة إلى الأمام ترجع خطوات إلى الوراء ، ومَن يستطيع ان يدفع القضاء والقدر .

ومنها خسارة الإركان بين فئة وفئة وبين أفراد فئة واحدة . وذلك مما ينزع راحة بال الأهالي ورفاهية حالهم ويقف في طريق تقدمهم ونجاحهم . ولا يخفى ان ضرباً من هذه الخسارة رديء جداً وموجب اضراراً كثيرة وتعطيلات باهظة وهو خسارة الأركان بين الآمرين والمأمورين أو بين الرعايا وحكومتهم . وهو معلوم ان إركان اولياء الأمور بالاهالي يتوقف كثيرا على إركان الأهالي بهم وبالعكس . ومن ثم كان الاجتهاد من الطرفين لا بد منه لرجوعه وتقوية مبانيه . والأمل انه بواسطة حكمة الآمرين وحسن ادارتهم واصلاح تصرّفهم مع الأهالي وإظهارهم الاعتبار لهم من الجهة الواحدة ، ومعرفة الأهالي صالحهم وتجنبهم التعنت والتطرف في طلب ما هو ممنوع سياسة وديانة وأدباً وعادة من العفو أو القصاص مع أمور اخرى من الجهة الأخرى ، سيزول شيئاً فشيئاً ما أحدثته الحوادث الماضية من التأثيرات الرديئة . وانه بناء على ما يوجد بين الفريقين من الارتباطات السالفة والاشتراك في العادات والمشارب والأمزجة ودرجة التمدن مع ملاحظة أمور اخرى ، سيدور دولاب الأمور مع التمادي على محوره السابق .

ومنها خسارة بعض العرض . ولا ريب ان محدثي هذه الخسارة الغير القابلة التعويض قد تجاوزوا حدود الإنسانية وسبقوا المتوحشين والبرابرة الذين يتحاشون عادةً ارتكابات كهذه فظيعة يمجّها السمع وتنفر منها الطبيعة . ومنها خسارة كثير من الكتب النادرة الوجود والمكاتب النافعة . فإن يد القساوة لم تعف هذه المرة عن الكتب كما فعلت فيما سلف حين خلّصت الكتب من سلطة العثّ والغبار والنار وباعتها بأثمان بخسة موزعة اياها على هذا الاسلوب بين الجمهور . كما انها لم تعف عن طوائف

الحيوانات حتى ولا عن دودة القز التي دأبها الكدّ والجدّ في غزل مّا يكسو العراة ويستر الأيتام والأرامل. ومنها خسارة الأمنية التجارية، ومَن يقدر ان يحصي الأضرار الناتجة من هذه الخسارة للبلاد قاطبة وللحكومة أيضاً. ومنها خسارة كثيرين من أصحاب الصنائع والمعلومات المفيدة مما لا يمكن تعويضه. وماذا نقول عن الخسائر الدينية والفساد الذي حصل في آداب الجمهور، مما لا يخفى عن الفطن. وتوجد خسائر كثيرة غير ما تقدم عدلنا عن ذكرها خوف الاطالة واعتمادا على اشتهار امرها، وبناء على ان ما ذكرناه في هذه النشرة والنشرتين السابقتين كافٍ لان يقنع من أراد أن يقتنع بعظم الشرور الناتجة من الحروب وبأن الحروب الأهلية هي من أشر ما يوجد تحت قبة الفلك. ولكن هل يليق بنا ان نقف وننظر إلى هذه الخسائر ونحن مكتوفو اليدين ونقع في حالة القنوط واليأس من تعويضها. كلاّ، بل سبيلنا ان نشمّر عن ساعد العزم ونبذل الهمة في تعاطي أشغالنا بالهدوء والسكينة واكتساب ما يخوّلنا راحة ونجاحاً ويخفف ما حولنا وفينا من الخراب والدمار متجنّبين الأسباب والمقالات وتاركين ما وراء ذلك للحكمة الربانية والعناية الصمدانية ولهمّة أولياء الأمور وحكمتهم وتدبيرهم. هذا ما قصدنا بيانه من الخسائر المادية والأدبية. وسنردف ذلك ان شاء الله تعالى بلائحة ندرج فيها الأرباح الأدبية ايفاء بحق هذا الباب، وأطال تعالى بقاءكم.

من محب للوطن

نفير سورية او الوطنية التاسعة

بيروت في ١٤ ك٢ ١٨٦١

(أرباح الوطن الأدبية)

يا ابناء الوطن

كأني بواقف على عنوان هذه اللائحة يقول متعجّباً: وهل من ارباح للوطن من حركة أهلية كثيرا ما بالغ محبّ الوطن في ذمّها وبين جسامة اضرارها وكثرة خسائرها. انه لما كان لا يوجد في عالمنا هذا الساقط شرٌّ محض ولا خيرٌ محض وكان لكل مسألة في الغالب وجهان احدهما مظلم قبيح والآخر نيّر مليح، كان للمسألة السورية وجه نيّر أيضاً لم نعرضه في ما مضى إلى نظر الواقفين على نشراتنا إلا نادراً وذلك على سبيل العرض والاستطراد فقط. والآن فلكي لا نُتّهم بكوننا بعين واحدة لا ننظر إلا إلى جهة واحدة من كل مسألة وبأننا قد اخترنا الجهة المظلمة من المسألة الحالية كما هو دأب من قوي فيهم عنصر الخلط السوداوي، ولكي ننبه آمال أبناء وطننا ونخفّف شيئاً من التأثيرات المكدرة التي احدثتها فيهم مناظر الحوادث الماضية، رأينا أن نذكر بعض ما وقع تحت نظرنا القاصر وملاحظاتنا الفاترة من الأرباح الأدبية التي حصلت فعلاً والتي يؤمل حصولها للوطن من الحركة المذكورة وذلك لا بالذات أو عن قصد بل كأنه بالعرض أو الصدفة أو بالحري بتدبير العناية الربانية، فنقول:

فمن الأرباح الأدبية الحاصلة للوطن من الحركة الأخيرة معرفة ابناء الوطن بطريق محسوس واضح عظم قباحة الحروب الأهلية وشدة رداءتها في ذاتها وفي نتائجها معرفة من شأنها ان تحدث فيهم طبعاً تأسّفاً عميقاً وندماً صحيحاً على ما مضى، وكراهةً ونفوراً من ارتكاب ذلك في ما يأتي. ومما يقوي فيهم هذه الحاسيات ويبيّن لهم حماقتهم في تلك الارتكابات إطّلاعهم بالاختبار أو كما يقال: «تعلّمهم من كيسهم» ان المسائل التي أوجبت النزاع بينهم وحملتهم على ما حملتهم عليه لا بد من رجوعها في آخر الأمر مع كامل متعلقاتها ونتائجها إلى المحاكمة والتقاضي أمام من لهم الحق في رؤية وفض كذا دعاوي أو الحكم فيها. وبناء على ذلك يرون ان الاجدر بهم لدى وقوع كذا مشاكل بينهم المبادرة إلى فضّها بهذا الطريق المحلّل، لا بل الواجب ديانة وسياسة، ولا يدعونها تتجاوز حدود الاعتدال بالانتقام لأنفسهم وتجسيمها، لأنه لا يكون لهم من ذلك إلا زيادة الشرّ والخراب والوقوع تحت غَضَب أولياء الأمور وكراهة العالم المتمدن.

ومنها معرفة ابناء الوطن ان صالحهم العمومي وبالتالي الشخصي يستلزم وجود روابط الاتحاد وحسن الألفة والمودة بين فئاتهم وافرادهم. ومما لا يسع عاقلاً إنكاره أن اهالي سورية الذين هم في أعلى طبقة من جودة العقول والنباهة الطبيعية والاستعداد للتقدم في الآداب والصنائع والأرتقاء إلى اسمى درجات التمدن. ودع شائنيهم والمتعصبين ضدهم يقولون ما شاؤوا. وبلادهم هي من أحسن البلدان في قواها الطبيعية ومواقعها التجارية لم يصلوا هم وبلادهم إلى ما وصلوا إليه من الانحطاط والمذلة والتأخر إلا من جراء عدم الاتحاد وقلة المحبة بينهم وعدم غيرتهم على صالح بلادهم وابناء وطنهم وتسليمهم انفسهم بحماقة وجهالة إلى سلطة وسطوة التعصبات والاغراض المذهبية والطائفية والعائلية وانقيادهم الأعمى إلى دسائس وتمليقات اقوام مضرّين للأجيال الحاضرة ولا تهمهم صوالح الأجيال المستقبلة ولا يلذّ لهم إلا أن يروا الاختلافات والعداوات منتشرة بكامل قوتها بين الفئات والافراد ومستولية بكامل

صولتها على قلوب احلافهم وضحاياهم حتى يُخيّل إليهم إنهم يؤثرون الخراب على العمار. ولما كان لا يرجى زوال تأثيرات الضربة الأخيرة ومفاعيلها القبيحة في مدة قصيرة كان يحق لنا ان نؤمل ان ابناء وطننا لا ينسون سريعاً قباحة الأسباب التي أوقعتها عليهم فيكونوا دائماً على حذر من الوقوع في ورطات نظيرها وينتبهوا إلى تفضيل صالح وطنهم وخير بنيه على تحسينات شهواتهم المنحرفة المضرّة وشهوات الذين اقتادوهم أو ساقوهم إلى تلك الغوائل الرديئه والمهالك المهوله ومنها اقناع ابناء الوطن وغيرهم بأن تلك الحروب القبيحة والارتكابات الفظيعة هي بنات شرعية لقلّة الديانة والتمدن أو لعدمها، وبأنه لا يؤمل نهوضهم من سقطتهم بل بالحري سيبقون في حالتهم المتأخرة أو يصلون إلى حالة اردأ منها إذا لم يصلحوا احوالهم من هذا القبيل. وما دام قومنا لا يميزون بين الأديان التي يجب أن تكون بين العبد وخالقه والمدنيات التي هي بين الإنسان وابن وطنه أو بينه وبين حكومته والتي عليها تبنى حالات الهيئة الإجتماعية والنسابة السياسية، ولا يضعون حدّاً فاصلاً بين هذين المبدأين المتمازين طبعاً وديانة، لا يؤمل نجاحهم في احدهما ولا فيهما جميعاً كما لا يخفى. وكذلك ما دام ابناء الوطن لا يفتحون الأبواب لدخول المعارف والصنائع وانتشارها بين خاصتهم وعامتهم لا يجب ان ينتظروا الانتظام في سلك الشعوب المتمدنة ولا الاعتبار والهيبة في اعين الآخرين حتى ولا في اعين بعضهم بعض ولا يتوقعوا انفتاح الباب لدخولهم في الوظائف السامية في باب الحكومة. ومع ان العرب كانوا في الأزمان السالفة هم أصحاب السيادة والوظائف الأكثر اعتباراً لا يؤمل ارتقاؤهم ما داموا في حالتهم الحاضرة إلى ما هو أعلى من رتبة كاتب أو ترجمان أو عضو مجلس أو ما أشبه.

ولو وضعت الحكومة نظاماً كما هو في مملكة الصين مثلاً وهو ان لا يقبل أحد في وظائف الحكم إلا من كان اهلاً لذلك وعرف لغة بلاده على حقها وكان خبيراً بشرائع المملكة وتنظيماتها جيداً، فالله يعلم كم كان يصفي عدد اصحاب الوظائف الحاليين. وكل عاقل يعلم كم كان يحصل

من خير للبلاد والأهالي قاطبة من تأسيس نظام بسيط هينّ كهذا عسى ان تحصل لنا فرصة لأن نحصيه مع تأسيس مدرسة كلية عمومية لتيسير إجرائه في جملة ارباح الوطن الأدبية . فلنا الأمل الوطيد ان ابناء وطننا سيعتبرون الآداب والصنائع في ما يأتي حق اعتبارها ويسرّهم ان يروها تمتد منتشرة ليس في الرجال فقط بل في النساء ايضاً اللواتي هن امهات البلاد وعلى تمدنهن الذي هو اكبر البركات يتوقف تمدن البلاد ونجاح الأهالي كما ان عدم تمدنهن هو من اكبر اللعنات للوطن . وانهم لا ينظرون في ما بعد إلى اخوتهم في الوطن من حيث المذهب والجنسية بل من حيث الاستحقاق والفضل والاخوة الوطنية ولا يدعون اختلافهم في ذلك يحمل فئاتهم على البغضاء والحسد والتباعد اكثر مما يحمل افرادهم على ذلك اختلاف هيئاتهم واخلاقهم الطبيعية وملابسهم ومعايشهم الاعتيادية ، بل يستخدمون ذلك الاختلاف وسيلة لايقاظ حاسيات الغيرة والحماسة والنخوة والظرف واللطف بينهم التي تكون في الغالب من نتائج الاختلاف المذكور، كما يظهر جلياً لمن قابل احوال الاهالي والأماكن المختلطة بما ليس منها كذلك . ومَن راقب الأمور حق المراقبة يرى واضحاً ان هذا الاختلاف هو الذي سند مراراً يد القوة الأدبية عند ضعف أو عدم وجود اليد السياسية في منع وقوع الحركات أو توقيفها بعد وقوعها . ومَن لم يلاحظ ذلك جيداً يتعجب من عدم وقوع ما وقع قبل وقوعه اكثر مما يتعجب من وقوعه . ولو فرضنا المحال وهو ان تكون اهالي سورية بأسرها فئة أو امة واحدة اسلامية أو نصرانية مثلاً مع بقاء كل الأحوال والأمور الأخرى على حالها، فهل يكون ذلك كفالة تضمن لنا عدم وقوع الحركات فيها ومنع تداخل ايدي الأجانب في امورها . فإن صاحب الرأي الصائب والذي له اطلاع ولو قليلا على تواريخ الشعوب وتواريخ سورية نفسها حتى في السنين المتأخرة لا يسعه إلا ان يحكم جازماً بأن الانحطاط يكون اشد واعظم والخراب أوسع وافظع والخطر اكبر واشنع .

ومنها اقتناع ابناء الوطن بأنهم ليسوا وحدهم في الدنيا بل انما هم حلقة من سلسلة العالم العظيمة وهذه الحلقة ليست في اطراف

السلسلة بل في وسطها وقلبها ومركزها السياسي والديني مهم جداً وهي إذ كانت واصلة وفاصلة بين العالم الشرقي والعالم الغربي كانت في ظروف خارقة العادة وبأن حلقات تلك السلسلة العظيمه قد صارت في هذا الجيل بواسطة البخار والبرق وغيرهما اقرب جداً مما كانت في الأجيال السالفة وأشد ارتباطاً وتعلّقاً ومن ثم كان من واجبات من ألقتهم المقادير في حلقة متوسطة نظير أهالي سورية تجنب ما من شأنه ان يهيج جيرانهم إلى مضادتهم وان يكونوا حلقة مفيدة هادئة في سلسلة العالم العظيمة وإلا فإنهم يكونون دائماً اذلاّء مقهورين ومكروهين وتكون الخسارة خسارتهم ولا يكون من يشاركهم فيها .

ومنها اقناع العقلاء واصحاب العرض والمال من ابناء الوطن بأن اللوم والخسارة والمسؤولية في كذا اعمال تقع في آخر الأمر عليهم . ومن ثم يرون انه من أهم مصالحهم الاجتهاد في كل الأوقات وجميع الأماكن في ردع الجهّال وتعليمهم بواسطة المثال والتوصية مؤثرة السلم والألفة والمودة على اضدادهن والوقوف عند حدودهم وتجنّب الأسباب ما امكنهم . ولو حسب عقلاء سورية لعواقب الأمور وعرفوا ان الأمور تؤدي بهم إلى الحالة التي وصل بعضهم وسيصل كثيرون منهم إليها، لكانوا طردوا أول وسواس القاه الشيطان أو أصحاب الغايات في عقولهم واطفأوا حالا اول شرارة القتها يد جاهل احمق أو عاقل خبيث في غابات سورية الجافة ووعورها اليابسة . أو اقله كانوا إذا عجزوا خرجوا حالاً من وسط الجهّال ومعامع الحرب وبرهنوا للعالم أجمع ان لا يد لهم في تلك القبائح وان تلك الارتكابات البربرية لا تحوز رضاهم ولا هي بأسّ منهم بل هي بالحري ضد خاطرهم ومشربهم وارادتهم . وماذا تقدر ان تعمله العامية التي من اشهر اوصافها انها عمياء إذا لم يكن لها من يمدّها بالمال والتدبير وادوات الحرب . فبماذا يطالب إذا اقوام ليسوا إلا آلة صامتة بيد اولياء امورهم واعيانهم ينقادون إليهم حتى في ما

هو ضد صالحهم إذا سلمنا بأنهم يعرفون ما هو صالحهم. ومن ثم كان طلب ايقاع القصاص بكل من شارك في الحركات مساوياً لطلب ترك القصاص بالكلية، أي تطرفاً غير جائز ديانة ولا سياسة. وذلك لأنه من الجهة الواحدة يوجب اعمالاً بربرية وتنظيف البلاد من أكثر رجالها، لأن الذين يصح القول انهم لم يشتركوا بوجه من الوجوه في الحوادث المذكورة هم قليلون جداً. ويوجب من الجهة الأخرى الابقاء على الذين هم جرثومة الفساد وأصل الحركات وتخلية سبيلهم. ولا يخفى ما في ذلك من التنشيط لأصحاب القباحات والمفاسد والخطر على البلاد من الوقوع تكراراً في ما وقعت فيه بسببهم.

ومنها إقناع ابناء الوطن بطريق محسوس بأن الحكم هو ملح الأرض لا بل حياتها وبأن الشرائع هي لجام الأشرار واصحاب الأرواح غير الهادية، وان عدم وجود حكم والاستخفاف بالشرائع هما من اكبر الشرور لبلاد مهما كانت درجة تمدنها ونجاحها لأن الحكم والشرائع اشبه بالصحّة لا تعرف قيمتها إلا عند فقدها، وبأن تجاوزهم حدود الإنسانية والاعتدال يوقعهم تحت لوم العالم اجمع ويوجب تداخل يد اجنبية في امور بلادهم. وذلك لأن ما للأجانب من الصوالح المتنوعة ومركز سورية الذي نظن ان لا نظير له في العالم سيكونان دائماً موجبين لهذا التداخل ما دامت الأهالي وحكامهم على حالتهم الحاضرة. واننا شديدو الاعتقاد بأن تداخل أيد اجنبية في سياسة بلاد ما ولاسيما هذه البلاد التي قويت فيها عناصر الاختلافات وقدر عليها ان تكون من اجناس مختلفة وتنوعت فيها أسباب عدم الاتفاق في ذلك التداخل لاختلاف صوالح المتدخلين الدينية والمدنية يكون مضرّاً نظير بلاد وان يكن منه بعض المنافع الوقتية لقليلين من الأفراد. على اننا نقول ان التداخل هذه المرة كان نافعاً لكامل الفئات وضرورياً لتوقيف امتداد الهياج والخراب اللذين كانا كالأمراض الوبائية يسريان من مكان إلى مكان بكل عزم وسرعة. ويا ليت هذا

التداخل ابتدأ أو احدث تأثيره المطلوب قبل امتداد الخراب وتعاظم الأمور. ومن ثم كانت اهالي سورية بوجه العموم مديونة لتلك الأيادي التي سندت أيدي الصادقين من رجال الدولة المتملكة والامناء من جنودها في كبح جماح اصحاب الغايات والحركات العاصين على الله وعلى وليّ نعمتهم وفي توقيف الخراب والدمار.

واملنا ان هذه المساعدة ستدوم مقرونة بالاتفاق على صالح سورية إلى ان تتأسس وتتقوى أصول المعدلة والامنية ولا يبقى باب للخوف من تعدّيات وغدر وحركات اصحاب المفاسد ومن وافقهم من ارذال الأهالي ومتوحشيهم. كما اننا نؤمل ان الذين تمدنوا من ابناء الوطن لا يحولون وجوههم عن ابناء وطنهم فيكونوا غرباء في بلادهم لأن ذلك لا يؤول إلى خير البلاد وبالتالي خيرهم أو اقلّه خير ذريتهم. وليس هو من حق الأخوّة الوطنية بل يبذلون جهدهم في إفادة الوطن وبنيه بقدر استطاعتهم غير مالّين ولا كالّين إذا لم يجنوا حالاً اثمار اتعابهم وخسائرهم.

يا ابناء الوطن

ها قد مضت سنة الستين بعد الثمانمائة والألف بحوادثها الكبرى وتقلّباتها العجيبة، وذلك لا في هذه البلاد فقط بل في كامل الكرة الأرضية، وقد اقبلت سنة سياسية جديدة فنهنئكم بها ونؤمل انها ستكون سنة راحة ورغد وامان في سورية وعاماً مباركاً على اهلها وذلك لأنه بعد مصائب السنة الماضية لا تطاوعنا حاسياتنا مع ما نراه من ارتجاج المسكونة إلا ان نؤمل ونرغب من السنة المقبلة ما هو احسن وان السنة الاحدى والستين ستنتهي وتنتهي معها كامل تأثيرات السنة الماضية وذلك بعمار البلاد وراحة العباد. على اننا ننبه ابناء الوطن إلى امرين: **احدهما** هو ان اصلاح احوالهم وبلادهم متوقف على اتحادهم واجتهادهم الشخصي لأن اتكالهم في ذلك على الغير هو كإتكال جائع على انه يشبع إذا أكل صديقه أو مولاه واتكال

جاهل على أنه يصير فيلسوفاً إذا تعلّم جاره أو ابن دينه، لأن من لا يقف وحده لا يكون من يضع يده تحت ابطه ليسنده. ثانيها ان اظهار البغضة إلى جماعة بجملتها بناء على ذنوب ارتكبتها عمداً أو خطأً بعض افرادها فضلاً عن انه ليس من الإنصاف، هو مضر جداً وموجب توقيف أو منع الاتحاد والالفة اللذين عليهما يتوقف نجاح الأهالي والبلاد. ولا حاجة إلى تذكير ابناء الوطن ان النَدَم والأسف من الجهة الواحدة وروح الصفح والمغفرة من الجهة الأخرى من شأنها ان تقرّب القلوب بعضها إلى بعض وتساعد على رجوع الألفة التي هي من أهم المقاصد واكبر المرغوبات لجيران واخوة في الوطن هذا، مقدار تعلّق وارتباط اشخاصهم وصوالحهم معاً بحيث لا يؤمل نجاحهم بدونها. هذا ونسأل الله ان يرشد اولياء الأمور والذين بيدهم زمام الأهالي إلى ما به خير العباد وراحة العموم ويمنحهم الإرادة والمقدرة على اجرائه وأطال تعالى بقاءكم.

من محب للوطن

نفير سورية او الوطنية العاشرة

بيروت في ٢٢ شباط سنة ١٨٦١

(تابع أرباح الوطن الأدبية ويتلو ذلك نشرة في التمدن)

يا ابناء الوطن

ومن أرباح الوطن الأدبية الناتجة من الحركة الأخيرة الانتباه إلى أمور كثيرة من أخصها ما يأتي وهو:

أولاً: وجوب انتباه الحكام وسهرهم على مأمورياتهم ومداركة الأمور قبل وقوعها وعدم التغاضي عنها إلى ان تتجسم ويصعب حلّها. فلو اوقع القصاص بالقاتل الأول مثلاً أو ألقيت المسؤولية على صاحب المقاطعة أو الدائرة التي وقع فيها القتل، لكان ذلك عبرة وترهيباً للآخرين ومن اكبر الوسائط لتوقيف الفتنة قبل امتدادها واتساعها. ولكن اذا رأت رعاع الناس واصحاب الغايات والمفاسد انه لا سؤال عن قتيل أو قاتل وانه إذا اتفق وقوع القاتل في اليد تصير ملاقاة القضية وصرفها بالمال أو المصالحة أو الحبس مدة، تصير الحياة عندهم رخيصة والدم عديم القيمة ويتورطون في الارتكابات والقباحات إلى ان يصلوا بالأمور إلى ما وصلوا إليه ويخربوا البلاد والعباد كما حصل.

ثانياً : وجوب وجود حكام وولاة صادقين في حقّ الدولة وحق البلاد والأهالي وفيهم الكفاءة ولهم الإرادة والمقدرة ذاتياً وعسكرياً لاجراء الشرائع وتأديب أصحاب الجنايات من دون إظهار امارات الافتقار إلى استخدام مبادىء الانقسامات التي هي من خلال الاجيال المظلمة . والا فإن أصحاب القلاقل والمفاسد والأوباش أو الفلتية الذين لا بد من وجودهم بكثرة في كل عصر ودور وبلاد ، ويغمنا ان نقول انه قد تكاثر عددهم في بلادنا على محيط البادية وذلك من جراء فرط الرخاوة وشدة الحلم ، لا يدعون البلاد ترتاح أو تفوز بالامنية والنجاح .

ثالثاً : وجوب اجراء إرادة حضرة صاحب الجلالة والشوكة السنية التي لا يجوز ديانة ولا سياسة للرعايا من أية فئة كانوا عدم تأدية حقّها من الاعتبار ولا مخالفتها ولا للمأمورين من أي رتبةٍ كانوا صرف النظر والتغاضي عن اجراء منطوقها المنيف . ولا يخفى ان الأوامر الشاهانية المنعم بها والمعطاة ممن ولاه الله تحت السلطنة والمقصود بها راحة الأهالي ورفاهية احوالهم وتأمينهم على أفضل خيراتهم إذا كانت خاضعة لإرادة الأهالي المأمورين وشهواتهم المتنوعة واغراضهم المختلفة تكون لا محالة حرفاً بلا معنى عند قوم وحرفاً ذا معنى كبير عند قوم آخرين ممن ألقاهم الدهر في بلاد واحدة وجعلهم جيراناً متلاصقين بهذا المقدار . فإذا لم يصر الغاؤها بالكلية والرجوع فيها جهاراً كما اعطيت جهارا ، وهو فرض محالي كما لا يخفى ، أو اجراؤها تماماً تطبيقاً لإرادة معطيها الخالصة وهو واجب وضروري لما تقدم ، توجب خللاً عظيماً في الأحكام وتشويشاً ومنازعات كثيرة بين الأهالي وارتباكاً وصعوبات شتى في الأعمال والمعاملات وتجعل الجميع في مراكز موهومة أو مشكوك فيها كما لا يخفى عمن لم يعمه الغرض ولا سد اذنيه التعصب .

رابعاً : وجوب النظر في اعطاء المأموريات إلى الاستحقاق والاهلية لا إلى مجرد الجنسية والسلالة أو الغنى والرفعة . ومن لاحظ احوال الممالك قاطبةً يرى واضحاً ان الممالك الأكثر نجاحاً وتقدماً تحت نور هذا العصر

هي التي تعطى فيها المناصب لقوم يستحقونها لا التي تنال فيها الوظائف بالإرث خلفاً عن سلف أو بوسائط اخرى غير محلّلة . وذلك يصح في الوظائف الرئاسية كما يصح في المناصب السياسية . فإن من اعتمد في الإرتقاء إلى الرتب السامية على مجرد كونه مولوداً من جنس أو من عشيرة أو سلالة اعطتها جهالة الأجيال السالفة أو التقادير أو نشاط ومعاناة مؤسس مجدها امتيازاً أو شرفاً دموياً على غيرها لا يظن انه يجتهد في تحصيل ما لا بد منه لإرتقاء من لم تعطه الطبيعة ذلك الامتياز الوسمي الوهمي وعلى الخصوص إذا كان ممن تجاوز الأربعة الآباء في عمود الحسب . لأنه لبعده عن مؤسس مجده يقصر عن طريقة اسلافه جملةً تقصير المقلد عن المجتهد ويضيع الخلال الحافظة لبناء مجدهم ويحتقرها متوهماً ان ذلك البناء لم يكن بمعاناة وتكلف وإنما هو أمر واجب منذ أول النشأة ، فيربأ بنفسه ويرى الفضل له على غيره فيحتقره ولا يراعي نعمته . وإذا اتفق بقاء شيء من تلك الخلال فيه فإنما يكون ذلك في انحطاط وذهاب كما لا يخفى . ومن ثم لا يكون اهلاً للمنصب الذي هو فيه ولا يؤمل إنه يجري ما يتعلق به من الواجبات حق إجرائه . هذا وان الإنسان بأصغريه لا بأكبريه ، ويا حبذا لو اجتمع الاستحقاق مع جودة الأصل أو الحَسَب .

خامساً : وجوب وضع حاجز بين الرئاسة أي السلطة الروحية والسياسة أي السلطة المدنية . وذلك لأن الرئاسة تتعلق ذاتاً وطبعاً بأمور داخلية ثابتة لا تتغير بتغير الأزمان والأحوال بخلاف السياسة فإنها تتعلق بأمور خارجية غير ثابتة وقابلة للتغير والاصلاح حسب المكان والزمان والأحوال ، فتباينا وتنافيا ومن ثم كان التوفيق بينهما في شخص واحد مستصعباً أو ضرباً من المحال . ولذلك كان المزج بين هاتين السلطتين الممتازتين طبعاً والمتضادتين في متعلقاتهما وموضوعهما من شأنه ان يوقع خللاً بيّناً وضرراً واضحاً في الأحكام والأديان حتى لا نبالغ إذا قلنا إنه يستحيل معه وجود التمدن وحياته ونموه . وان يعدم كلا من السلطتين مفاعيل وفوائد السلطة الأخرى التي من شأنها إذا اجريت على حقها ان

تكون من اكبر الوسائل لتنفيذ مقاصد صاحبتها الخيرية بين الرعايا الذين هم موضوع لهما كليهما أي الإنسان الداخل وبالتالي الخارج للأولى والإنسان الخارج وبالتالي الداخل للثانية وان يرقى إلى وظائف الرئاسة أقوام كثيرون يطلبونها لا حباً بأعمالها الخاصة بل طمعاً بما تسوقه إليهم من الأرباح والامتيازات الزمنية والسطوة والسلطة المدنية من دون ان يكونوا اهلاً لها، وان يسلم أمور السياسة لأقوام لم تتهيأ طبائعهم لها ولا اعتادوها منذ صغرهم وهم ابعد الناس عنها وعن مذاهبها وذلك لأنهم معتادون عادة النظر الفكري والحكم على الأمور حكماً عاماً لا بخصوص مادة ولا شخص ولا جيل ولا امة ولا صنف من الناس بخلاف السياسة فإن صاحبها يحتاج إلى مراعاة ما في الخارج وما يلحقه من الأحوال والأحكام الخصوصية. ومن شأنها إذ كانت املك للنفس واجذب للطبيعة ان تلهيهم عن تأدية حقوق وواجبات وظائفهم التي هي في ذاتها اسمى وافضل وأهمّ وأشرف لاتجاهها نحو جزء الإنسان الأفضل وهو نفسه وبذلك يفقد روح الديانة من الأهالي لأنهم يكونون والحالة هذه كرعية لا رعاة لها ويتقاعدون عن الإجتهاد في اتقان امور السياسة استناداً إلى رؤسائهم الروحانيين وتتمكن الاختلافات بين فئاتهم اقتداء برؤسائهم الذين هم بالطبع مختلفون اختلافاً لا يتم معه ائتلاف ولا يتفقون إلا على الاختلاف وإذا تم ائتلافهم فإنما يكون على الأكثر ظاهرياً وعديم التأثير والثبات كما لا يخفى. ولا نعني بذلك رؤساء فئة مخصوصة بل رؤساء جميع فئات بلادنا الكثيرة من اسلام ونصارى ودروز ونصيرية واسماعيلية ويزيدية ويهود وسامره على اختلاف مذاهبهم وتشعباتهم. وقد اطلعت البلدان المتمدنة على الأضرار الناتجة من هذا المزج فجعلت فاصلاً بيّناً بين هاتين السلطتين فلم تدع احداهما تتعرض لمصالح الأخرى. وكلما كان الفاصل امتن تكون الراحة والنجاح اعظم. ولا ريب ان هذا الفصل هو مما يجب ان يسرّ اصحاب الرئاسة ايضاً الذين دخلوا وظائفهم من الأبواب لأنه يرفع عنهم اثقالاً زمنية كثيرة ويريحهم

من تقريعات ضمائرهم الناتجة من تغافلهم (وربما كان ذلك جبراً) عن الواجبات التي افرزوا ذاتهم ونذروا حياتهم لها. وهل يجب ان يكون ذلك الالتفات وهذا الفصل وتلك الإجراءات بالتدريج أو دفعة واحدة. ذلك موقوف على طبيعة المكان والزمان ومزاج الأمور والأحوال وعلى رأي وإرادة من لهم حق الحكم في كذا مواد ومنوط بحكمتهم وهمتهم ودرايتهم.

سادساً: وجوب اتخاذ التدابير القوية الفعّالة لإيجاد واعطاء الأمنية التامة على خيرات الإنسان الفضلى ومتاجره وصنائعه ومعارفه. ومن قابل سهول سورية الكثيرة الخصب الهينة المراس بجبالها المحجرة الصعبة المراس ولاحظ العمار والنجاح في هذه دون تلك يظهر له فضل الأمنية التي احدثت هذا الفرق حتى صار السهل وعراً والوعر سهلاً. ومَن قابل محصولات سورية الحالية وعدد السكان فيها بمحصولاتها وشعوبها في الأزمان القديمة ولاحظ ما بها من القدرة الطبيعية على انتاج اضعاف نواتجها الحاضرة واغناء اهلها وحكومتها، يتعجب من تأخرها إذا لم يلاحظ أمر الامنية وانحطاط الأهالي وجور العمال والحكام المحليه.

[سابعاً](*) وجوب الاعتناء من طرف الحكام والولاة في ملافاة الرعايا والالتفات نحو ذوي الاستحقاق بينهم والمحافظة على ما به راحتهم ورفاهة احوالهم ونجاح اعمالهم. ولا ريب ان ذلك من شأنه ان يزيدهم محبة لأولياء امورهم وإركاناً بهم ويقنعهم بعدم اقتضاء ما يظن انهم على الأكثر ينفرون منه طبعاً وهو الالتجاء إلى الأجانب ووضع متاجرهم ومصالحهم تحت نظرهم أو حمايتهم. وذلك اوضح من نار على علم.

يا ابناء الوطن

هذا آخر ما قصدنا ذكره من ارباح الوطن الأدبية التي كان أحبّ

(*) [سابعاً] وردت ثامناً في الأصل.

إلينا وإلى جميع محبّي خير بلادنا ان لا تكون كلفت الوطن هذا المقدار من الأضرار والخسائر ولاسيما لدى النظر انه ربما كان يمكن الحصول عليها بدونها . وتوجد ارباح اخر كثيرة لم نتعرض لذكرها أما لسبق الإشارة إليها أو لظهور امرها أو لتعلقها بأمور مستقبلية يستحيل أو يعسر إدراكها أو تصديقها قبل حصولها . على انه يمكننا ان نؤمل مع ما لا نزال نراه من الإضطراب والهياج والتشتت بأن هذه الغيوم المتكاثفة سيعقبها ان شاء الله تعالى امطارٌ غزيرة وخيرات جزيلة وستكون بهمّة أولياء الأمور افتتاح عصر جديد لسورية . ومن جملة ما نراه من علامات هذا العصر ومقدمات جيشه فتح سكة العربات واستهلال سكك الحديد وتوسيع دائرة المدارس ومحلات المرضى . وكم نتمنى ان نرى الغيرة في ذلك بين ابناء وطننا ورؤسائنا وحكامنا ايضاً لاعتقادنا باقتدارهم على ذلك وان نرى الأجانب الذين يرغبون خير البلاد لا صوالحهم الذاتية يتفقون على تعليم ما يعلمونه لأبناء الوطن بلغة البلاد أي العربية اقتداء بمن هم اقدم واخبر منهم بأحوال البلاد والأهالي واللغة . لأن ذلك من شأنه أن يفيد اللغة ايضاً ويجعل المتعلمين أكبر نفعاً وغيرةً نحو بلادهم واكثر قبولاً عند ابناء وطنهم . والذين يدّعون بأنه لا يمكن التمدن تحت اللغة العربية ربما كانوا لا يعرفون مقدار فضل هذه اللغة وقد فاتهم ان تمدنها اقرب واسهل وأفعل من تمدن ابناء العرب تحت لغات اجنبية متنوعة . والا يلزمنا الحكم بكل غم وأسف بأنه قد قدر على سورية ان تكون ايضاً بابل اللغات والعادات والمشارب كما هي بابل الأديان والأجناس والمذاهب .

يا ابناء الوطن الذين قد اتصفتم واشتهرتم بالكَرَم والنخوة والحماسة والحذق والمروءة والسماحة وأنتم الآن ممتطون سنام الجيل التاسع عشر، جيل المعرفة والنور، جيل الاختراعات والإكتشافات، جيل الآداب والمعارف، جيل الصنائع والفنون، جيل التقدم والتمدن، لا تدعوا تلك الفتن الشديدة تحملكم على هجر هذه الخصال الحميدة بل

هبّوا وانتبهوا واستيقظوا وشمّروا عن ساعد العزم والهمّة . ها الآداب والتمدن ووسائل الاتحاد والألفة واقفة من كل جهة مزدحمة على أبوابكم تقرع بقوة وسرعة طالبة الدخول إلى مدنكم الزاهية الشهية وجبالكم الشامخة البهية وأوديتكم وصحاريكم وسهولكم التي زينتها الطبيعة بحلاها الفاخرة وقواها الباهرة . فانبذوا عنكم تعصباتكم الدينية وتحزباتكم المذهبية وعداواتكم الطائفية واغراضكم النفسانية وافتحوا الأبواب لتلك الضيوف الفاضلة وترحبوا بها وقدّموا لها يداً واحدة لمصافحتها واقبلوها بالفرح والحبور فتملأ بلادكم راحة ورفاهية وامناً وتكسو دياركم بهجةً ورونقاً وفخراً .

من محب للوطن

نفير سورية او الوطنية الحادية عشرة

بيروت في ٢٢ نيسان سنة ١٨٦١

(في التمدن)

يا ابناء الوطن

اننا قد تعرضنا لذكر التمـدن مرات كثيـرة في نشراتنـا السابقـة ولما كان هذا الموضوع يشغل كثيراً أفكـار الجمهور في هـذا الجيل وكـان روح العصر شديد الميـل إلى البحث عنه والاجتهـاد في الحصول عليـه واجتناء اثمـار فوائـده، وكان الكثيـرون في خطر من الـوقـوع في الغلط من جهـة التمدن فينزلون التمدن الكاذب التقليدي المزور منزلـة التمدن الحقيقي ويكتفون بذاك معرضين عن هذا ومتقاعدين عن طلب ما كـانوا يـرغبون في الوصول إليه وَهْمَاً منهم بـأنهم قد قبضـوا على نـاصية التمـدن الحقيقي قبضـاً محكماً فـلا يستطيـع ان يفلت منهم والحال انـه لا يزال بعيـداً عنهم جداً، رأينا ان نبيّن لابناء وطننا في نشرتنا هذه وذلك بوجه الاختصار: مـا هو التمدن وما هي الوسائط المبلغة إليه، ضاربين صفحاً الآن عن فـوائده ولذاته مراعاة لضيق المقام واستغناء بما نراه من الميـل الشديـد إلى التمدن وشدة اتجاه العواطف نحوه بناء على الاعتقاد بكثرة فوائده فنقول:

ان التمدن مأخوذ في الأصل من لفظ مدينة وذلك اما باعتبار كونها محل العمران وتمييزاً لها عن البادية فيراد به عيشة الحضر تمييزاً لها عن عيشة البدو التي لا تمدن معها. أو باعتبار مقابلتها للقرية فيراد به رفاهية المعيشة ونظام البيوت وما اشبه مما لا يسلّم أهل المدن وذلك بغلط بوجوده عند أهل الفلاحة وسكان القرى ثم توسع فيه فصار يدل على المعنى المفهوم منه الآن وهو التهذيب الداخلي والخارجي والتزين بالمعارف والآداب والفضائل. ولا يخفى ان الإنسان يكون في هذا العالم في احدى حالتين: حالة التوعر أو التوحش وحالة التمدن أو الظرف. فحالة التوعر هي الحالة الطبيعية التي يخلق عليها الإنسان والتي إذا بقي فيها لا يكون كبير فرق بينه وبين الحيوانات العجم وتكون مضراته للكون أعظم من مضراتها. وأما حالة التمدن فهي تلك الحالة الطارئة على الإنسان من التهذيب في الخلق والاخلاق التي يكتسبها شيئاً فشيئاً بواسطة التقليد والجد والاجتهاد إلى ان يصل إلى أسمى درجاتها والتي يقصر دونها كل مَن كان في طبيعته مباينة لها وعدم استعداد لقبولها. ونسبة الإنسان المتوعّر إلى الإنسان المتمدن كنسبة الجاهل إلى العالم أو البهيم إلى الإنسان أو الظلمة إلى النور أو الأعمى إلى البصير أو كنسبة غيلان اقصى افريقية الذين يأكلون بعضهم بعضاً إلى أكابر وشرفاء باريس وانكلترا. أو كنسبة سكان عرب البادية إلى سكان بيروت مثلاً. والتمدن منه ظاهري كاذب يقوم ببعض مزايا وخصال وعادات خارجية مقتبسة تقليدية غير ناتجة عن مبادىء اصلية حقيقية راهنة. وصاحب هذا التمدن أشبه بطبل ذي جرم عظيم وصوت كبير إلا انه من داخل فارغ وأدنى عارض يعطل فائدته بالكليّة ونسبته إلى التمدن الحقيقي كنسبة الظلّ إلى الجسم أو الوهم إلى الحقيقة. واما التمدن الحقيقي فهو عبارة عن تلك الحالة من الهيئة الإجتماعية التي توافق نمو كل قوى الجنس البشري افراداً وإجمالاً فهو إذ لا ينحصر في شيء واحد أو في اشياء جزئية توجد بين الجمهور كالعلوم والصنائع مثلاً بل يمتد إلى كامل أحوال الجمهور المنتظم في هيئة اجتماعية تحت روابط معينة وذلك من اوجه شتى مبتدئاً في الإنسان الداخل ومن

هناك إلى الإنسان الخارج والمقصود الأصلي منه إنما هو النمو. فإن نجاح الإنسان لا يقوم بجمع الخيرات مهما كانت - وتخصيصها بنفسه بل انما يقوم بامتداد قواه ونموها واستعمالها في موضوعاتها المناسبة لها حسب وضعها الأصلي، لأن الإنسان لم يخلق بهيئة اسفنجة ليمتص كل ما يمكنه امتصاصه من مال العالم وخيراته بل انما خلق بصورة شجرة نامية مثمرة. وكذلك نجاح الإنسان وفضله وسعادته لا تقوم بما قد اقتناه وجمعه عنده من المال والمعارف بل بما يقتدر عليه من الأعمال المفيدة. وما احسن قول الشاعر:

وكل امرء لا خير فيه لغيره
فسيّان عندي فقده ووجوده

ومن التعريف السابق يتّضح جليّاً ان التمدّن الحقيقي لا يتمم وظيفته ومقصده ما لم يساعد نمو وتقدم كل قوى الإنسان الجسدية والأدبية. لأنه إذا صرف نظره إلى راحة جسمه ونظام معيشته فقط يجعله حيواناً محضاً وإذا اكتفى بتربية جسمه وعقله فقط دون جزئه الأدبي فربما جعله شيطاناً متجسماً وإذا نظر إلى تربية عقله فقط، فربما نتج منه خراب الكون وتلاشي الجنس البشري بالكلية. فالتمدّن الحقيقي إذاً ينظر إلى كل من تلك القوى نظراً عادلاً ويعطي كلا منها حقوقه المناسبة له من حيث هو هو باعتبار مقامه وفضله، أي يعطي الأفضل للأفضل والأخسّ للأخسّ. وقولنا افراداً واجمالاً يستفاد منه أمران: **أحدهما**، ان التمدن الحقيقي لا يحاول رفع شعب إلا برفع افراده واحداً فواحداً من الرجال والنساء. **والثاني**، انه لا ينظر إلى فرقة واحدة من الجمهور دون الأخرى بل ينظر إلى الجميع على حد سواء. فإذا عرضنا تمدن الأجيال السالفة من اليونانيين والرومانيين والعرب ايضاً على التعريف المذكور نرى انه كان ناقصاً من وجهين: **أحدهما**، انه كان لا يربّي الإنسان كله من حيث اجزائه المتنوعة التي يتركب منها. **ثانياً**: إنه لم يكن في الشعوب كلها فكان كبيت بلا سقف أو كقنطرة بلا ختم ولهذا كان قليل المنفعة وسريع الزوال

وكانت فوائده للأجيال الحاضرة زهيدة جداً. وكذلك إذا عرضنا تمدن أوروبا الحالي على التعريف المذكور نرى أن أكثره غير كامل من أوجه كثيرة وذلك لأن أكثر اصحاب التقدم فيها يطلبون خيرهم الخصوصي ويراعون سطوتهم وشرفهم أكثر من نمو شعبهم في المعارف والآداب. ولهذا نرى هناك العلم واللطف والنظام الكامل بجانب الجهل والتوغّر والقساوة والسكر وحب الذات المفرط والعادات الفاحشة. وهو مهما كان سموه ورونقه يحتاج إلى ملح من المبادىء الصحيحة يصلحه، وإلا فإن حياته تكون مضطربة قصيرة وصولته ضعيفة حقيرة. وأما سورية فقد كان لنا قبل حركة السنة الماضية وجه للافتخار بأنها قد وضعت رجلها اليسرى على الدرجة الأولى من سلّم التمدن وأبواب للأمل بأنها سترتقي في مدة قصيرة إلى اعلى درجاته. وأما الآن فليس لنا سبيل إلا ان نضع يدنا على فمنا وننتظر ما ستولده الأيام المستقبلة وتقضي به العناية الربّانية من هذا القبيل.

يا ابناء الوطن

ان كل شيء ثمين في هذه الدنيا قابل التقليد والتزوير، وبمقدار ما يكون الشيء غالي الثمن ومرغوباً يجتهد أصحاب التزوير في تقليده وعرضه على الجمهور نظير خالص. وكما يدخل التزوير في البضائع والمأكولات والأدوية، يدخل ايضاً في بضاعة التمدن التي هي غالية القيمة وجليلة القدر ومرغوبة جداً. واننا نرى جيلنا الحاضر في خطر واضح لأجل أسباب متنوعة من الاعتماد على ضرب من التمدن لا يستحقّ الإسم ولا يأتي بأثمار التمدن الحقيقي. ولشدّة إركانهم به واعتمادهم عليه يخشى من ان يكتفوا به فيتوقف النجاح بسببه. فإنه إذا كان الافرنج على جانب عظيم من التمدن، وهم إذا اخذوا بالجملة في درجة من التمدن اعلى من ابناء الشرق وبالتالي من ابناء هذه البلاد التي كانت في دورها في الأزمان السالفة سريراً للتمدن ومركزا للذوق والرونق، ولما كان لكل غريب بهجة ولكل جديد رهجة وكان الدهر افرنجياً وكانت العادات والذوق الافرنجي اشد

سطوة مما لابناء الشرق من ذلك، ولا بدّ من ان تغلب عليه، يخشى من ان الأكثرين من أهالي بلادنا الذين هم من أميل الناس إلى التقليد وأقدرهم عليه يكتفون من التمدن بتقليد ما أمكنهم تقليده من عادات الافرنج وملابسهم ومزاياهم متوهّمين ان ذلك كافٍ لأن ينظمهم في سلك المتمدنين ويجعلهم أعلى من ابناء جنسهم وأهالي بلادهم وقد فاتهم انه إنما يجعلهم غرباء في أعين ابناء وطنهم ومحتقرين كمقلّدين أو منتحلين عوائد أو لابسين اثواباً لا يستحقونها في أعين الأجانب. ومع اننا نعتقد بأن اكتساب الفوائد من أية جهة أو أمة كانت هو من الأمور المستحبّة والمُسَلَّم بها عند كل عاقل وبأن اكثر فوائد التمدن تأتينا من الجهة الغربية، وبأن كثيرين من أهالي أوروبا يستحقون الاعتبار التام، لا يمكننا ان نسلّم تسليماً مطلقاً أعمى بأن كل ما يأتينا من هناك هو مفيد في ذاته وموافق لنجاح الشرقيين، وهواء بلادهم الذي هو من اكبر المؤثرات في الإنسان. وعلى الخصوص بهذا الاعتبار، بل نعلم ان الذين يقبلون متمسكين بكل ما اتاهم من الديار الافرنجية من دون فحص مدقّق وانتقاد صحيح وانتخاب ما جلّ منها فقط مما يفيدهم تقدّماً وتهذيباً نظير الافرنج، طالما يخدعون انفسهم ويقبضون الدرهم الزائف مع الدينار الخالص ويرّقعون اثواباً بالية بخرق جديدة. وهكذا القول في الأشخاص. ولا يخفى ان من استهجن كل شيء لأجل مجرّد كونه افرنجياً واستحسن كل شيء لأجل مجرد كونه عربياً، وبالعكس، يقع في تطرّف مضرّ. ولما كان الناس يميلون طبعاً إلى الاشياء الظاهرة أكثر من الباطنة وإلى التمسك بالعَرَض اكثر من الجوهر ولاسيما في ما يستلزم سياحة الفكر وتروي الذهن ودقة النظر كالعلوم والديانة مثلاً، كان هذا دأبهم في أمر التمدن أيضاً فيظنون ان التمدن يقوم بنظام العيشة وترتيب البيوت وظرافة الملابس والأكل على الطاولة ولطافة الأحاديث واختلاط النساء مع الرجال واكتساب لغة اجنبية وما أشبه ذلك من الصفات والمزايا التي لا فائدة منها في الغالب إلا الأضرار بالصفات

الأهلية والفضائل الذاتية التي يمتازون بها نظير امة مخصوصة ممتازة عما سواها، مع ان هذه الأمور ليست بأكثر من قشور أو أوراق شجرة التمدن ومن أبعد نتائجه وأزهد فوائده أو هي اثمار اجنبية علّقت وقتياً على أذيال شجرة التمدن. قال الشاعر:

لا يعجبنّك اثوابٌ على رجل ... دَعْ حُسنَ اثوابه وانظر إلى الأدبِ
فالعود لو لم تفح منه روائحه ... لم يفرق الناس بين العود والحطبِ

يا ابناء الوطن

وأما وسائط التمدن فكثير منها يستفاد من نشراتنا السابقة، ومن أخصّها وأهمّها ما يأتي وهو: **أولاً، الديانة** ولا نعني كل ديانة بل الديانة الصحيحة المنزلة من الله التي هي أساس للتمدن الحقيقي. وبقدر ما تكون تلك الديانة خالصة من الشوائب التي من شأنها أن تلحق بكل ما تداولته أيدي الناس من الأمور يكون التمدّن الصادر عنها صافياً خالصاً. على اننا نقول ان كل ديانة تعلم بأن الجهل هو أبو العبادة والغباوة هي أم التقوى لا يمكن ان تكون أساساً حقيقياً للتمدن. **ثانياً، الحكم السياسي** ولا نعني كل حكم، بل الحكم الذي يهمّه صالح رعاياه ورفاهة احوالهم ونجاح أمورهم وتقدّمهم في المعارف والغنى والتمدّن، فيكون قدوة لهم في ذلك وتتخذ التدابير القوية الفعّالة لانتشاره بينهم. ومَن لاحظ شدة العلاقة والاتصالية بين الحكومة والرعايا يتفق معنا في الحكم بأنه لا يمكن وجود شعب متمدن تحت حكم غير متمدن ولا وجود حكم متمدن على شعب غير متمدن، لأنه لا بدّ من اشتراكهما في احدى الحالتين. وما احسن وأصدق ما قيل: كما تكونوا يُولّى عليكم. **ثالثاً، وسائط اكتساب الآداب** كالمدارس والمطابع والجرنالات والتجارة وما أشبه ذلك مما من

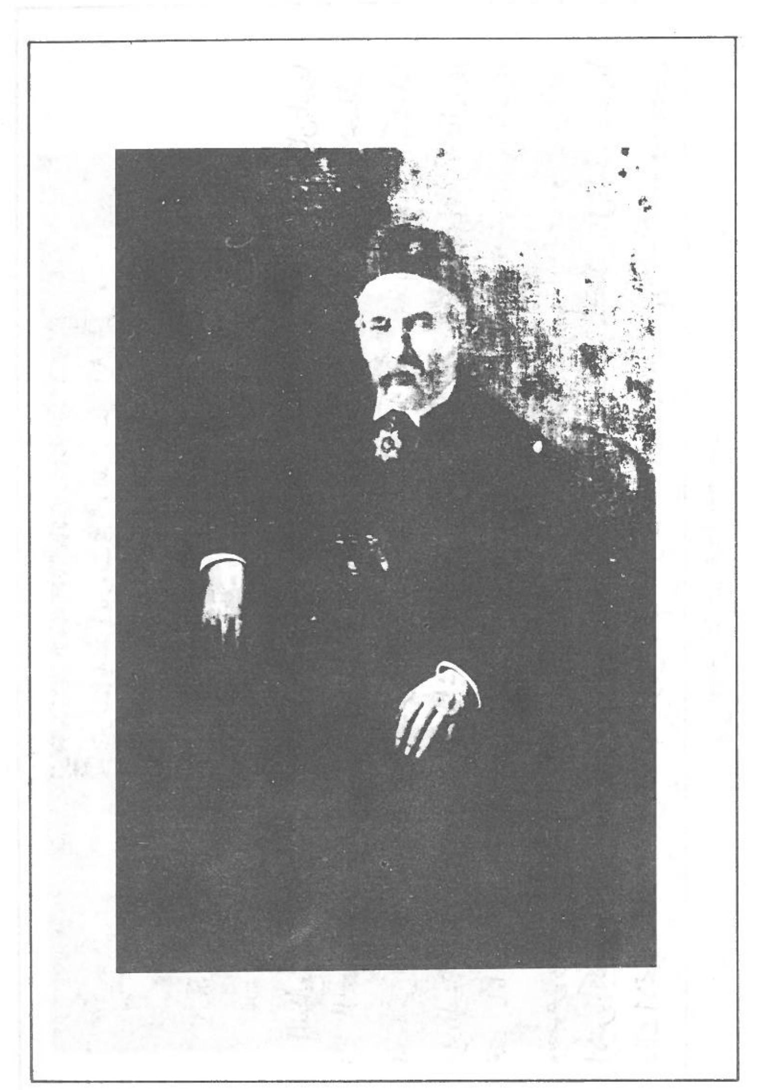
شأنه أن يزيد الأهالي اتصالاً وقرباً ويجعلهم كعائلة واحدة. وهو أمر مُسَلَّم ان التمدن مهما كانت وسائطه يكون تدريجياً لا دفعة واحدة في الأفراد والشعوب، وكلّما كانت وسائطه ميسورة للجمهور وممتدة بين خاصته وعامته، يكون هو أقوى واسرع واثبت وانفع.

يا ابناء الوطن

ومما نعتقد بأنه جوهري في هذه الأيام لتمدن ابناء وطننا أهالي سورية أمران ذكرناهما مراراً في وطنياتنا السابقة: **احدهما وجود الألفة بين افرادهم وفئاتهم وعلى الخصوص الألفة المدنية** التي وجودها أو عدمه متوقف على قوة ونشاط وإرادة أولياء الأمور اكثر من توقفه على شهوات الأهالي وأغراضهم المتنوعة. وأما صعوبة أو ربما استحالة الألفة الدينية القلبية بعد وقوع ما وقع ومع ما نراه من الموت المستولي على أديان الوطن وشرائعه، فذلك مما لا يُشكّ فيه ولا يُعجبُ منه. **والأمر الثاني حبّ الوطن وتفضيل صالحه على الصوالح الذاتية سواء كانت شخصية أم طائفية**. وما دام ابناء وطننا لا يشعرون بأن الوطن وطنهم والبلاد بلادهم لا يؤمل منهم حُبّ الوطن ولا السؤال عن صالحه العمومي بل يكونون دائماً متشعّبين يطلب كل منهم ما يَتوهّم انه انفع لشخصه أو لفئته وهو معلوم ان كل بيت أو مُلك منقسم على نفسه لا بد من أن تكون عاقبة امره الخراب. ولهذا كان مَن حاول إرجاع اصلاح الأحوال في سورية إلى خاطر ورأي أهلها كمن حاول امرا مستحيلاً أو طلب من عليل مذنب ان يُعالج نفسه، لأننا إذا سلّمنا بأنهم يعرفون صالحهم لا يمكننا أن نسلّم بأنهم يتفقون جميعاً فيه حتى إنهم إذا أرادوا الاتفاق لا يؤمل انه يسمح لهم بالتمتع به ومن ثم كانت هذه البلاد سالكة في طريق خطرة في الغاية ولا يؤمل عمارها أو خلاصها من الدمار إلا إذا أرشد الله أهلها إلى الصواب أو دَبّر بعنايته العجيبة وسائط فعالة خالية الغرض لانقاذها، أو على الأقل وضعها في محجّة الأمان والنجاح. ولهذا كان لا سبيل لنا الآن

إلا ان نجلس ونندب هذه البلاد المنكودة الحظّ التي أمست ضحيّة لأغراض متباينة وصوالح ذاتية وقلَّ فيها عددُ محبّي الوطن . . . هذا واطال تعالى بقاءكم .

من محب للوطن



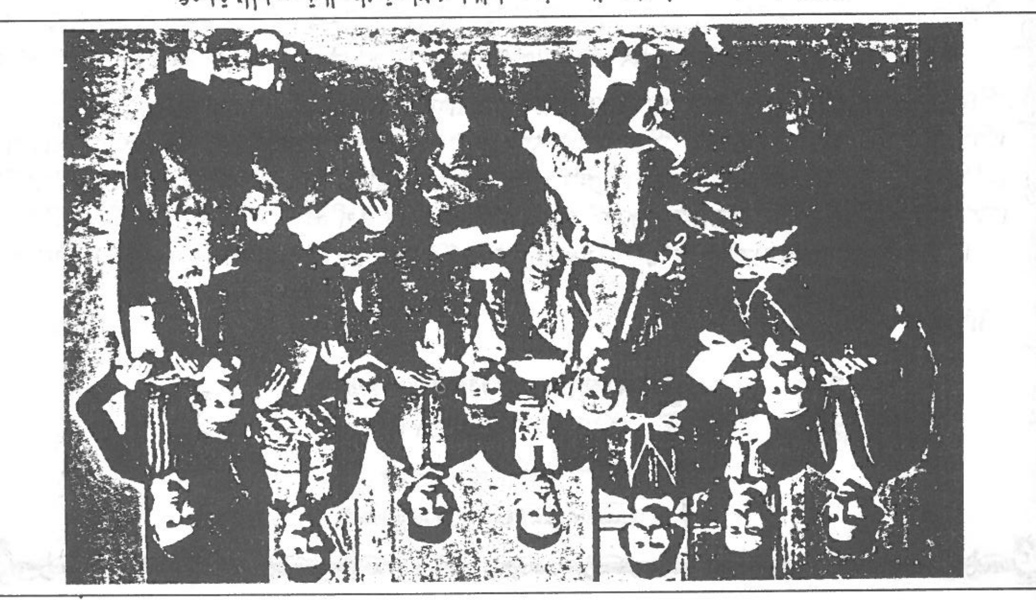
المعلم بطرس البستاني، صورة عن لوحة زيتية رسم داود قرم 1884 .
من مجموعة صيقلي- بيروت .

نفير سورية عدد ١ بيروت في ٢٩ ايلول سنة ١٨٦٠

يا ابناء الوطن

الفظايع والمنكرات التي ارتكبها اشقياؤنا هذه السنة في ظرف مدة قصيرة وصلت اخبارها الى اطراف المسكونة فكان تاثيرها الغم والشفقة من الجهة الواحدة والغيظ والغضب من الجهة الاخرى. وذلك في كامل العالم المتمدن فترون الاحسانات قادمة من كل جهة لاغاثة المحتاجين والجيوش تتوارد من كل قطر لوقاية الضعفاء وتاديب المذنبين والمعتدين. وكثيرًا ما نرى الفيئة الظافرة تتباهى بما عملته بقيلها كفانا شرفًا وما اشبه. غير عالمة ان العالم المتمدن انما ينظر الى تلك الاعمال التي تفتخر بها بالكراهة والانفة والغضب حاسبًا اياها اعمال برابرة متوحشين عارين من الانسانية والشيمة والمروة والديانة ولصوص وقطاع طريق ولذلك قد صار يدًا واحدًا في انزال سوء العقاب بابناء ثوم الشقاة وتربية المتعدين. ونرى من الجهة الاخرى اكثر الفيئة المغلوبة تظن متوهمة أن الجيوش انما اتت لاجل تجدتهم في اخذ الثار واستحلال مال العدو ودمه وما ذلك الا تحريف لمقاصد الدول العظام فاذا رتبوا اعمالهم بالنظر الى هذا التاويل يوقعون انفسهم تحت الغضب ويستوجبون

العدد الاول من جريدة «نفير سورية»



عمدة «المدرسة الوطنية» لمنشئها المعلم بطرس البستاني في بيروت عام 1866

الواقفون: سعيد شقير، ابراهيم الباحوط، سعد الله البستاني، عبد الله البستاني، شاهين سركيس، الشيخ خطار الدحداح، سليم البستاني.

الجالسون: خليل ربيز، عبد الله شبلي، فضل الله غرزوزي، الشيخ يوسف الأسير، بطرس البستاني.



نفير سورية او الوطنية الخامسة

بيروت في ١ ت٢ سنة ١٨٦٠

يا ابناء الوطن

اشر ما يوجد تحت قبة الفلك الحروب واشر الحروب وافجعها واشنعها الحروب الاهلية الثايرة بين اهالي بلاد واحدة التي تنجم في الغالب عن اسباب زهيدة ولاجل غايات دنية وذلك لانها فضلاً عن مضادتها لحقوق العدالة وتعديها على حقوق من يدهم زمام الامور تنافي كل المنافاة اكرم والطف واسمى واشرف الحقوق والحاسيات الانسانية كحقوق الجيرة والاخوة الوطنية والشكر والموادة والالفة المنغرسة طبعاً نحو الجار وابن الوطن في من استوفى حقوق المروة والانسانية. ومن اشر الحروب الاهلية الحرب التي أُضرمت نارها ورشقت سهامها هذه السنة فعطلت هذا المقدار من المصالح والصوالح الدينية والادبية والمدنية وكلفت البلاد والعالم اجمع هذا المقدار من الاثقال والخساير والمصاريف والمخاطر

يا ابناء الوطن بماذا تعتذر عن ابناء بلادنا امام الاجانب غير الغباوة وعدم التمدن وغلبة شهوة النفس على قوى العقل. وربما قام امر وجودهم في ظروف خارقة العادة مع ٢م عذر يقبله كرام الناس. فماذا يُنتظر من بلاد سكانها لفيف من قبائل شتى مختلفة المشارب والامزجة والاغراض والصوالح كثيرهم لا يهمهم صالحنا العمومي وكثيرون منهم لا يشعرون بانها وطنهم وقد وجدت في موقع متوسط بين بلادين كثيراً ما تجاذباها فكانت تميل تارة الى اليمين وطوراً الى اليسار حتى انهُ لم يمضِ عليها جيل كامل في جهة واحدة ولسوء حظها قد وجدت في كلا الحالين في اطراف البلاد

العدد الخامس من جريدة «نفير سورية»

بعد عشر سنوات

حبّ الوطن من الايمان

(من قلم * * *)

[بطرس البستاني]

[مجلة «الجنان». ج1 (1870) ص 302-303

هذا هو اساس كل فوز ونجاح وهو الذي يشرّف البلاد ويسعد العباد. هذا هو مبدأ كل ذي شيم وكَرَم أخلاق ويقين ذوي المعارف والآداب. فعليهِ يُبنَى وإليه يُنسب وبهِ يتمّ المقصد العظيم الذي لأجلهِ مُيّز الإنسان عن بقية الحيوانات. فحاشا ان نفترض وجودنا في هذا العالم كحيوان ناطق لا غاية لهُ سوى ما انطوت عليهِ بقية الحيوانات، وحاشا ان نعتقد بأن الجهل والتسليم الأعمى يقودوننا إلى غير التعاسة والخراب، بل احساسات غير محدودة. وهي حركة العقل تجعلنا نعتبر ان الإنسان بدون ادنى تمييز البتة معدٌّ بواسطة حسن سلوكهِ في هذا العالم لما بهِ خير وسعادة الجنس البشري على قد رجالهِ. وبالعكس إذا اساء السلوك لأن امارات العدل اذا ظهرت بأي طريق كان فهناك شرع الله ودينه، والله احكم من ان يخصّ طرق العدل بشيء. فإذا كان الإنسان مندوباً إلى مساعدة الجنس البشري بالاجمال فكم بالحري يجب عليهِ ذلك نحو ابناءِ وطنهِ الذين هم من لحمهِ ودمهِ.

ولا يخفى ان محبة الوطن تكون من كل انسان حسب فطرتهِ ومقدرتهِ فكلّ من ابناء الوطن عالماً كان أو غير عالم غنياً أو فقيراً يمكنهُ مساعدة ابناء جنسهِ بكل ما من شأنهِ ترقية اسباب الإلفة والاتحاد وخير العموم بدون التفات إلى المذهب. واحسن واسطة لبلوغ هذا الأرَبَ بسهولة هي إنّ كلاً منّا يجعل سلوكهُ تجاه الجميع كأن صوالحهُ الخصوصية متعلّقة بصالح العموم. وهكذا يمكنهُ نفع بلادهِ وذاتهِ معاً. ثم إذا قابلنا حاضرنا بماضينا بالنظر إلى ما كان يقتضي ان نكون عليه في العصر المتمدن، يتضح لنا عظم تأخرنا لأننا فضلاً عن اننا لم نحفظ مركزنا قد تأخرنا إلى الوراء في ميدان التمدن. ولا يخفى كل ذي حكمة ان عدم تقدمنا هو عين التأخر. اين مشاهيرنا، اين علماؤنا، اين فصحاؤنا، اين تجارتنا، اين سفننا، اين صنائعنا، اين اتقان زراعتنا التي هي اهمّ شيءٍ لبلاد مثل بلادنا ذات سهول واراضٍ مخصبة. فان تلك العلوم التي كانت في صدور الرجال قد أمست ألآن بين الواح الكتب وقد أظلم برقع الجهل طرق سياستنا وتجارتنا وصنائعنا. وبعد ان كنا قوماً شرفاء موقرين قد اصبحنا الآن مرذولين في بلادٍ قد نعب على قصور مدنها بوم الخراب. مع انها كانت في سالف الزمن سريراً للتمدن والآداب والثروة وهكذا صحَّ فينا قول الشاعر:

نعيبُ زماننا والعيب فينا
وما لزماننا عيبٌ سوانا

وان وجودنا الآن على حالة تنبينا عن اسباب تعاستنا قد حرَّك فيَّ آمال المستقبل وجرّأني ان اقول لجماهير هذه البلاد الجميلة المركز التعيسة الحظ ان جهلهم حبَّ وطنهم آل بهم إلى هذا الحال ولا ينجّيهم من الخراب والدثار التام ويقدّمهم بين الشعوب المتمدّنة سوى معرفتهم الصحيحة واتّباعهم بغيرة لهذا المبدأ الأساسي الذي هو حبُّ الوطن من الإيمان.

يا أبناء الوطن

ان التأثر الذي حصل عند حضرة السلطان عبد المجيد خان لما بلغته اخبار الحركات والارتكابات التي صار وقوعها في هذه البلاد يتضح جليّاً لمن اطّلع على الفرمان الصادر بتاريخ أواخر ذي الحجة سنة ١٢٧٦ هـ [أوائل تموز (يوليو) 1860] إلى حضرة صاحب الدولة والاقبال فؤاد باشا المعظم لدى صدور الإرادة السنية بقدومه إلى هذه الأطراف. وما صدرت به الإرادة السنية من التدابير لقطع عرق الفساد وتوقيف مجرى الحركات واستحصال الراحة والامنية يستدلّ به على ذلك التأثر وعلى اعتبار شاهانيته لاهمية المسألة والتفاته نحو صالح رعاياه وشفقته عليهم. ثم ان العبارات الواردة في اعلان [19 تموز 1860] دولة المشير المشار إليه الذي صار نشره برفقة الفرمان العالي اثناء حلول ركابه السعيدة على شطوط هذه البلاد ومواعيده خطّاً ثم شفاها للرعايا قاطبة بالراحة الأمنية والعدالة يجعل الجميع ينتظرون من دولته اجراء تلك المقاصد الخيرية والمواعيد الراهنة.

وطنيّات بطرس البستاني

وطنيّات بطرس البستاني

نفير سورية[١]

من دراسة حول المعلم بطرس البستاني، اعماله وآثاره، 1976، للدكتور يوسف قزما خوري.

إثر وقوع «حوادث الستين»[2] المؤسفة في لبنان وانطلاقاً من إيمان المعلم بطرس البستاني بأن الجرائد هي «من أكبر الوسائط لتمدن الجمهور... إذا استعملت على حقها»[3] اصدر نشرته الدورية «نفير سورية»، ما بين 29 أيلول 1860 و 22 نيسان 1861، ذات صفحة واحدة[4] يتراوح عدد الأسطر في كل نشرة منها بين 25 سطراً و 72 سطراً. وقد جعلها على شكل رسائل

(1) وردت خطأ «نفير سوريا» في تاريخ الصحافة العربية لفيليب دي طرازي، ج 1 ص 64.

(2) بدأت في شهر نيسان 1960 [1860] وانتهت في شهر آب 1860 عند وصول الجيوش الفرنسية إلى بيروت، حتي، لبنان في التاريخ، ص 533.

(3) خطاب في آداب العرب، ص 34.

(4) وردت خطأ بأنها ذات صفحتين في تاريخ الصحافة العربية لفيليب دي طرازي، ج 1 ص 64. والروائع «بطرس البستاني»، ص«يا».

وطنية موجهة إلى أهالي البلاد من «محب للوطن» تنضح بالنصائح الصريحة المخلصة التي كان يتوخى منها شد عرى الإلفة والاتحاد اللذين يتوقف عليهما نجاح المواطنين على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم، سائلاً الله تعالى ان يرشدهم إلى معرفة صالحهم وخير بلادهم آملاً أن يتصفحوا نشراته هذه «بروح المحبة والخلوص والبساطة بما أنه ناتج عن خلوص نية وخلوص غرض ممن شاركّكم في مصائبكم ويشارككم في حاسياتكم ويتألم كثيراً من النظر إلى مصائبكم»[5]. ذكر أنه كان يجول في خاطره قبل وقوع هذه الحوادث المؤسفة أن يصدر نشراته هذه منبهاً «إلى شر نتائج الحروب الأهلية» ولكن عدل عن ذلك لأن «رخومة صوت محب للوطن تغطيها خشونة اصوات طبول الغرض والغايات»[6]. وبعد أن رأى بعينيه لهيب الغرض يستعر عاد وصمم أن يقوم بتقديم ما يستطيعه في خدمة جزئية للوطن راجياً أن تحوز محاولته هذه قبول المواطنين، لأن عليه، على حد قوله: «الكتابة والتذكير وعليكم التصفح والتفكير وعلى الله النتائج والتدبير»[7]. وظهر منها إحدى عشرة نشرة[8] موسومة بـ «نفير سورية عدد 2» ونفير سورية عدد 3»

(5) نفير سورية عدد 2، بيروت في 8 تشرين الأول 1860 سطر 28 - 30.

(6) نفير سورية أو الوطنية الخامسة. بيروت في أول تشرين الثاني 1860 سطر 38.

(7) نفير سورية او الوطنية الخامسة. بيروت في أول تشرين الثاني 1860. سطر 42.

(8) يجد في «نفير سورية» إحدى عشرة نشرة في مكتبة الجامعة الأميركية في بيروت. بلغ عدد أسطرها 579 سطراً. يذكر طرازي أنها «13» نشرة.

اعتباراً من النشرة الرابعة صدرت موسومة بـ «نفير سورية أو الوطنية الرابعة» و «نفير سورية او الوطنية الخامسة» حتى النشرة الحادية عشرة[9]. ولقد وضع اعتباراً من النشرة الثالثة، اطاراً مزخرفاً من خطين حول صفحة الكتابة مع غصن زيتون على كل من جانبي اسم النشرة.

أدان البستاني الأعمال التي جرت في «حوادث الستين» معتبرها «اعمال برابرة متوحشين عارين من الإنسانية والشيمة والمروة والديانة ولصوص وقطاع طرق»[10] حاثاً اهالي البلاد إلى العودة إلى ديارهم التي هجروها، والثقة بأولي الأمر، لأنه لا خوف على الأبرياء، محذراً من البطالة «التي من شأنها ان تضر الجسم والعقل والنفس»[11] والاستعاضة عنها بالجد المتواصل «والكد بأيديكم وعرق جبينكم بدلاً من الوقوف على الأبواب والإتكال على الإحسانات التي ما انفجر ينبوعها إلاّ ليجف ولا عاشت إلاّ لتموت»[12]. ويذكر ابناء الوطن، الذين يشربون ماء واحداً

(9) وردت خطأً في تاريخ الصحافة العربية لفيليب دي طرازي بأنها ظهرت «موسومة بالنفير الأول والنفير الثاني حتى الأخير بدلاً من العدد الأول والعدد الثاني الخ كما جرت العادة» ج 1 ص 64. يظهر من الأخطاء العديدة التي ذكرها الفيكونت فيليب دي طرازي عن نفير سورية بأنه لم يتسن له الاطلاع عليها. ويؤكد ذلك قوله: «وقد اتحفنا خليل سركيس... بفقرة منقولة عن نفير سوريا». راجع تاريخ الصحافة العربية، ج 1 ص 64.

(10) نفير سورية، عدد 1 بيروت في 29 ايلول 1860 سطر 5 - 6.

(11) نفير سورية. عدد 3 بيروت في 15 تشرين الأول 1860 سطر 30.

(12) المصدر ذاته، سطر 29.

ويتنسمون هواء واحداً ويتكلمون لغة واحدة ويطأون ارضاً واحدة وصوالحهم وعاداتهم واحدة، «أن يعتبروا نصوص ومبادىء الديانة التي يدينون بها»[13] وتوجيه جل اهتمامهم إلى المستقبل عوضاً عن النظر إلى الماضي لأن «الديانة الصحيحة من شأنها أن تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر، وكل ديانة ليست لها هذه المزية لا تستحق أن تسمى ديانة»[14]. وحذرهم من التعنت والتحكم والتعصب[15] والبطل «فإنها ليست من الخير في شيء»، وذكرهم بتطبيق الآية الذهبية القائلة «كما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا انتم بهم هكذا»[16].

يعترف البستاني بأنه أتى كثيراً في نشراته على ذكر الوطن. لأن الوطن «أحب شيء إلى سمع من كان محباً لوطنه، وألذ ما زين به جيد العربية من الكلمات المولدة»[17]. وخشية أن يساء فهمه يجد نفسه مضطراً أن يعرّف لفظتي «الوطن» «وابناء الوطن» اللتين طالما رددهما. فالوطن، على حد قوله، هو «أشبه بسلسلة متصلة

(13) نفير سورية. عدد 1. بيروت في 29 ايلول 1860 سطر 25.

(14) نفير سورية، عدد 3. بيروت في 15 تشرين الأول 1860 سطر 32-33.

(15) نفير سورية أو الوطنية السابعة. بيروت في 25 تشرين الأول 1860 سطر 30. عرف عنه بأنه «لم يكن متعصباً إلا للوطن ولا منقاداً إلا للمبادىء الوطنية. المقتطف ج 8 (1883) ص 6. ودائرة المعارف ج 7 ص 592.

(16) وردت «فكل ما تريدون أن يفعل الناس بكم إفعلوا هكذا أنتم أيضاً بهم» انجيل متى 7: 12.

(17) المصدر ذاته، سطر 1-2.

كثرت حلقاتها، طرفها الاول منزلنا او مسقط رأسنا بمن حواه. وطرفها الآخر بلادنا بمن فيها»[18]. واما الوطن الذي كان ينشده فهو «سورية المشهورة ببر الشام وعربستان، هي وطننا على اختلاف سهولها ووعورها وسواحلها وجبالها»[19]. وأبناء الوطن، في عرفه، هم «سكان سورية على اختلاف مذاهبهم وهيئاتهم وأجناسهم وتشعباتهم»[20]. ولم تكن هذه التعاريف للوطن وأبناء الوطن بالدعوة الصريحة الى تبني قومية معينة واضحة المعالم بالنسبة إليه، حيث نجده، كمحب للوطن وليس كداعي إلى قومية معينة. يثور بوجه احد الاجانب الذي قال له «مَن من الناس يصدق ابن عرب»[21]، لا بل نراه يهتاج به «الدم العربي» عندما سمع احدهم يطعن «في الجنس العربي» ويقذف العرب قاطبة متهمهم بأنهم كذابين غشاشين، وللدلالة على روحه الوثابة في الدفاع عن ابناء وطنه تجاه محاوريه لا بد من ذكر الواقعة التالية التي جرت له، حيث يقول: «وبينما كنت ذات يوم احدث رجلاً يطعن في الجنس العربي ويقذف العرب بأنهم كذابين غشاشين، من دون استثناء ولا مراعاة ضمير، هاج بي الدم العربي وقلت له بحماسة وحمية دفعاً لحمة لسانه: «إن الغش والكذب طبيعيان في جميع الناس والأجناس، وربما كان كذب العرب اكثر باعتبار العدد

(18) المصدر ذاته، سطر 4.

(19) المصدر ذاته، سطر 2.

(20) المصدر ذاته، سطر 2.

(21) نفير سورية او الوطنية الثامنة، بيروت في 14 كانون الأول 1860، سطر 9-10.

والكمية، وذلك لأنهم يكذبون عفواً من دون روية ولا حكمة، كما هو دأبهم في باقي الأعمال، وأما كذب باقي الأجناس فربما كان أعظم من كذب العرب، من حيث الوزن والكيفية، وذلك لأنهم لا يكذبون إلاّ عن روية وحكمة ولأجل غاية وفائدة، فكأن كذبهم متقن كأعمالهم»[22]. كان بذلك يحاول أن يدافع عن بني وطنه ولم يكن يبرر الكذب، لأن «كل ديانة تجيز الكذب لا يمكن أن تكون صحيحة»[23]) في عرفه.

بالرغم من تسليمه الكلي، بدون أي تحفظ، بأن «منزلنا هو أحسن المنازل وأبناء وطننا هم أحسن الناس عندنا»[24] يعود ويرجح كفة الإنسان أو بالأحرى الجنس البشري على كل شيء آخر حتى لو كان ذلك الشيء المنزل والوطن، لأن «السر بالسكان لا بالمنزل»[25]. ثم يخطو خطوة أخرى نحو خلاص النفس البشرية فيما وراء الطبيعة متخلياً كلياً عن فكرة «القومية» التي وصلت إلى اوجها في أوروبا في القرن التاسع عشر، حيث يقول بأنه «ليس للإنسان وطن حقيقي في هذا العالم بل وطنه الحقيقي في عالم الأرواح وراء القبر»[26] متبنياً بذلك، من حيث يدري او لا يدري، نظرية القديس اوغسطينوس في مدينة الله.

وبعد أن يعدد الخسائر المادية، التي يمكن التعويض عنها

(22) المصدر ذاته، سطر 12-17.
(23) المصدر ذاته، سطر 21.
(24) نفير سورية أو الوطنية الرابعة، بيروت في 25 تشرين الأول 1860 سطر 6-7.
(25) المصدر ذاته، سطر 7.
(26) المصدر ذاته، سطر 31.

والتي بلغ مجموعها /367،000،000/ ثلاثمائة وسبعة وستين مليون غرش تركي، «وذلك بقدر مدخول سورية في موسم الحرير في ثلاث سنين ونصف تقريباً على حساب ألفي قنطار في السنة»[27]، والخسائر الأدبية، وهي: خسارة الإلفة، والشيمة أو شرف النفس، والصدق والتصديق، والراحة العمومية في البلاد، وبعض العرض، وكثير من الكتب النادرة، والأمنية التجارية[28]، والأرباح الأدبية التي تمثل الوجه النير «للمسألة السورية»[29] وتشتمل على قسمين، يتعلق القسم الأول منها بالمكاسب الأدبية التي جناها ابناء الوطن، بينما يشرح القسم الثاني الأمور الواجب توفرها بالسلطة الحاكمة. فمن الأرباح الأدبية التي كانت عبرة لأبناء الوطن الأمور التالية: أولاً - معرفتهم بطريق محسوس واضح عظم قباحة الحروب الأهلية. ثانياً - معرفتهم أن مصلحتهم العامة تقتضي «وجود روابط الاتحاد وحسن الألفة والمودة بين فئاتهم وافرادهم»[30]. ثالثاً - معرفتهم ان كل ما جرى من ويلات وقتل

(27) نفير سورية أو الوطنية السادسة، بيروت في 8 تشرين الثاني 1860 سطر 5-8. بلغت الخسائر المادية في «حوادث الستين»، عند فيليب حتي أربعة ملايين ليرة انكليزية. انظر فيليب حتي، لبنان في التاريخ. بيروت، مؤسسة فرنكلين، 1960، ص 532.
(28) نفير سورية او الوطنية الثامنة، بيروت في 14 كانون الاول 1860 سطر 1-6.
(29) كان البستاني يعتقد بأنه «لكل مسألة في الغالب وجهان، احدهما مظلم قبيح والآخر نير مليح» انظر نفير سورية أو الوطنية التاسعة، بيروت في 14 كانون الثاني 1861، سطر 3.
(30) المصدر ذاته، سطر 14-15. وهي اول دعوة صريحة لتبني فكرة «الوحدة الوطنية» بين مختلف الطوائف.

ودمار كان نتيجة حتمية. «لقلة الديانة والتمدن او لعدمهما»[31]. رابعاً ـ معرفتهم بأنهم جزء لا يتجزأ من المجتمع الإنساني لأنهم «ليسوا وحدهم في الدنيا بل إنما هم حلقة من سلسلة العالم العظيمة»[32]. خامساً ـ معرفة عقلائهم واصحاب العرض والمال ان اللوم والخسارة تقع عليهم[33]. سادساً ـ اقتناع الأكثرية الساحقة منهم بأن «الحكم ملح الأرض، وبأن الشرائع لجام الأشرار»[34].

أما فيما يتعلق بالسلطة الحاكمة فلقد نبهت هذه الحوادث المؤسفة، التي طالما بالغ «محب للوطن» في ذمها وبيَّن جسامة اضرارها وكثرة خسائرها، أذهان الحكام إلى أمور كثيرة، أهمها: أولاً ـ وجوب انتباه الحكام وسهرهم على مأموريتهم ومداركة الأمور قبل وقوعها[35]. ثانياً ـ وجوب وجود حكام وولاة صادقين في حق الدولة وحق البلاد والأهالي وفيهم الكفاءة ولهم الإرادة والمقدرة ذاتياً وعسكرياً لإجراء الشرائع وتأديب اصحاب الجنايات[36]. ثالثاً ـ وجوب اجراء ارادة حضرة صاحب الجلالة والشوكة السنية[37]. رابعاً ـ وجوب النظر في اعطاء المأموريات إلى الاستحقاق والأهلية لا إلى مجرد الجنسية والسلالة أو الغنى والرفعة[38]. خامساً ـ

(31) المصدر ذاته، سطر 23.
(32) المصدر ذاته، سطر 43.
(33) المصدر ذاته، سطر 48.
(34) المصدر ذاته، سطر 59.
(35) نفير سورية أو الوطنية العاشرة، بيروت في 22 شباط 1861،سطر2
(36) المصدر ذاته، سطر 7ـ8.
(37) المصدر ذاته، سطر 11ـ12.
(38) المصدر ذاته، سطر 18.

وجوب وضع حاجز بين الرئاسة اي السلطة الروحية، والسياسة أي السلطة المدنية[39]، ويقصد بذلك فصل الدين عن الدولة نظراً للأضرار الناتجة عن المزج بين السلطتين وتعرض كل منهما لمصالح الاخرى. وأنه، في نظره، «كلما كان الفاصل (بين السلطتين الروحية والسياسية) أمتن تكون الراحة والنجاح اعظم»[40]. سادساً ـ وجوب اتخاذ التدابير القوية الفعالة لإيجاد وإعطاء الأمنية التامة على خيرات الإنسان الفضلى ومتاجره وصنائعه ومعارفه[41]. سابعاً ـ وجوب الاعتناء من طرف الحكام والولاة في ملافاة الرعايا والالتفات نحو ذوي الاستحقاق بينهم والمحافظة على ما به راحتهم ورفاهة احوالهم ونجاح اعمالهم[42].

ويتعرض البستاني أثناء بحثه للأرباح الأدبية إلى بعض النواحي الواجب على ابناء الوطن الأخذ بها إذا ما ارادوا «الانتظام في سلك الشعوب المتمدنة»، وأهمها فتح الأبواب على مصراعيها لدخول المعارف والصنائع إلى ديارهم. كما إنه كان يأمل من ابناء الوطن الذين اتيحت لهم الفرص لأخذ التمدن الحقيقي ألا يحولوا «وجوههم عن ابناء وطنهم، فيكونوا غرباء في بلادهم، لأن ذلك لا يأول (يؤول) إلى خير البلاد وبالتالي خيرهم أو اقله خير ذريتهم وليس هو من حق الأخوة الوطنية بل يبذلون جهدهم في إفادة الوطن وبنيه بقدر استطاعتهم غير مالّين ولا كالّين اذا لم يجتنوا حالاً أثمار

(39) المصدر ذاته، سطر 27.
(40) المصدر ذاته، سطر 40ـ41.
(41) المصدر ذاته، سطر 45.
(42) المصدر ذاته، سطر 49.

اتعابهم وخسائرهم»(43). وأما فيما يتعلق بالذين ينشؤون المدارس والقيمين على تعليم ابناء الوطن، وبصورة خاصة الأجانب منهم «الذين يرغبون خير البلاد لا صوالحهم الذاتية»(44)، فقد حثهم على تعليم جميع العلوم باللغة العربية وذلك اقتداء بمن هم اقدم وأخبر منهم بأحوال بلادنا وأهاليها واللغة العربية. لأن ذلك من شأنه أن يفيد اللغة العربية أولاً، كما إنه يجعل المتعلمين باللغة العربية «أكبر نفعاً وغيرة نحو بلادهم وأكثر قبولاً عند ابناء وطنهم»(45). وأما الذين يشككون بفكاءة اللغة العربية ومقدرتها على استيعاب العلوم الحديثة والذين يدعون أنه لا يمكن لأبناء العرب اكتساب التمدن الحديث بواسطة لغتهم الأم فقد رد عليهم متهمهم بأنهم «لا يعرفون فضل هذه اللغة، وقد فاتهم ان تمدنها أقرب وأسهل وأفعل من تمدن ابناء العرب تحت لغات اجنبية متنوعة»(46).

وخصص الوطنية الحادية عشرة لموضوع التمدن الذي كان يشغل جميع الافكار «وكان روح العصر شديد البحث عنه والاجتهاد في الحصول عليه واجتناء أثمار فوائده»(47). وخشية انزلاق الكثير من ابناء وطنه الوقوع في الغلط فينزلون «التمدن الكاذب التقليدي

(43) نفير سورية او الوطنية التاسعة، بيروت في 14 كانون الثاني 1861، سطر 69ـ71.

(44) نفير سورية او الوطنية العاشرة، بيروت في 22 شباط 1861، سطر 59.

(45) المصدر ذته، سطر 57ـ58.

(46) المصدر ذاته، سطر 59ـ60.

(47) نفير سورية او الوطنية الحادية عشرة، بيروت في 22 نيسان 1861، سطر 1ـ2.

المزور **منزلة التمدن الحقيقي**»، أخذ على عاتقه مهمة تحديد ماهية «التمدن» والوسائط المؤدية إليه ضارباً صفحاً «عن فوائده ولذاته مراعاة لضيق المقام»(48). إن التمدن، على حد تعبيره، مأخوذ في الأصل من لفظة «مدينة» وذلك إما باعتبار كونها محل العمران وتمييزاً لها عن «البادية» فيراد بها «عشية الحضر»، أو باعتبار مقابلتها للقرية فيراد بها «رفاهية العيش» ثم اخذ هذا المعنى يتوسع الى أن اصبح في القرن التاسع عشر يدل «على المعنى المفهوم منه الآن وهو: التهذيب الداخلي والخارجي والتزين بالمعارف والآداب والفضائل»(49). وحالة «التمدن والظرف»، في عرفه، والتي يمتاز بها الإنسان عن سائر الحيوانات، هي تلك الحالة الطارئة على الإنسان من التهذيب في الخلق والأخلاق التي يكتسبها شيئاً فشيئاً بواسطة التقليد والجد والاجتهاد الى ان يصل إلى أسمى درجاتها»(50). وحذر انصار كل شيء قديم من تبني «تمدن الأجيال السالفة» لأنه كان «قليل المنفعة سريع الزوال»، كما حذر انصار «تمدن أوروبا الحالي» من مغبة الاعتماد الكلي على هذا التمدن الجديد «لأن أكثره غير كامل من أوجه كثيرة»(51). كما نصحهم بألا يتهافتون على جميع ما يأتيهم من الديار الإفرنجية وألا يقبلوا أي شيء منها «دون فحص مدقق وانتقاد صحيح» وأن يمارسوا عملية «انتخاب ما جلّ منها فقط مما يفيدهم تقدماً

(48) المصدر ذاته، سطر 5.

(49) المصدر ذاته، سطر 8ـ9.

(50) المصدر ذاته، سطر 11ـ12.

(51) المصدر ذاته، سطر 29ـ30.

وتهذيباً»[52]. كي لا يكونوا كالذين «يخدعون انفسهم ويقبضون الدرهم الزائف مع الدينار الخالص، ويرقعون أثواباً بالية بخرق جديدة». وأما وسائط التمدن، والتي لا تكون إلا تدريجية، فتشتمل على أمور ثلاثة[53]: أولاً - الديانة الصحيحة. ثانياً - الحكم السياسي الذي يهمه صالح رعاياه. ثالثاً - وسائط اكتساب الآداب كالمدارس والمطابع والجرنالات والتجارة. ولقد مارس المعلم بطرس البستاني جميع وسائط اكتساب الآداب باستثناء التجارة.

لا شك أن المبادىء التي انطوت عليها نشرة نفير سورية كانت نبراساً يهتدي به سليم البستاني، بكر أولاد المعلم بطرس البستاني، في افتتاحياته ومقالاته الواردة في مجلة الجنان. فلطالما ردّد تعابيرها مثل «الحكم ملح الأرض»، و«حب الوطن»، و«شر الحروب الأهلية»، و«روح العصر»، و«التمدن». ولذلك قيل عنها بأنها «أتت برهاناً جديداً على طول باعه (المعلم بطرس البستاني) وسعة اطلاعه في الإنشاء والسياسة»[54].

ولم يكتف برفع صوته عالياً مندّداً بأضرار الحروب الأهلية وويلاتها، بل نراه يوزع الطعام على الهاربين من الجبل واللاجئين إلى بيروت، بينما كان صديقه الدكتور كرنيليوس فان ديك يعالج جرحاهم[55]. وليقرن القول بالعمل، أسس سنة 1863 المدرسة الوطنية، التي كانت وطنية بكل ما في كلمة وطنية من معنى، بحيث

(52) المصدر ذاته، سطر 46-47.

(53) المصدر ذاته، سطر 55-62.

(54) «المرحوم المعلم بطرس البستاني» المقتطف ج 8 (1883) ص 2. دائرة المعارف. دائرة المعارف ج 7 (1883) ص 590.

(55) مجلة المشينري هيرلد. ج 56 (1860) ص 344.

كانت ابوابها مفتوحة على مصراعيها لجميع ابناء الوطن من دون التعرض لمذاهبهم الخصوصية، تنمي في قلوب طلابها الشعور بمحبة الوطن، وتغرس مبادىء الإلفة والاتحاد في أفئدتهم ليكونوا «ذوي غيرة على وطنهم وأمناء له»[56]. ان في ذكرى رواد النهضة الحديثة «تنطوي رسالة ما احوجنا الى تمليها والاهتداء بها»[57].

يوسف قزما الخوري

(56) الجنان ج 4 (1873) ص 626-627.

(57) فؤاد صروف، «يعقوب صروف». رسالة العلم ج 25 (1958) ص 401.

□ الإعداد الطباعي

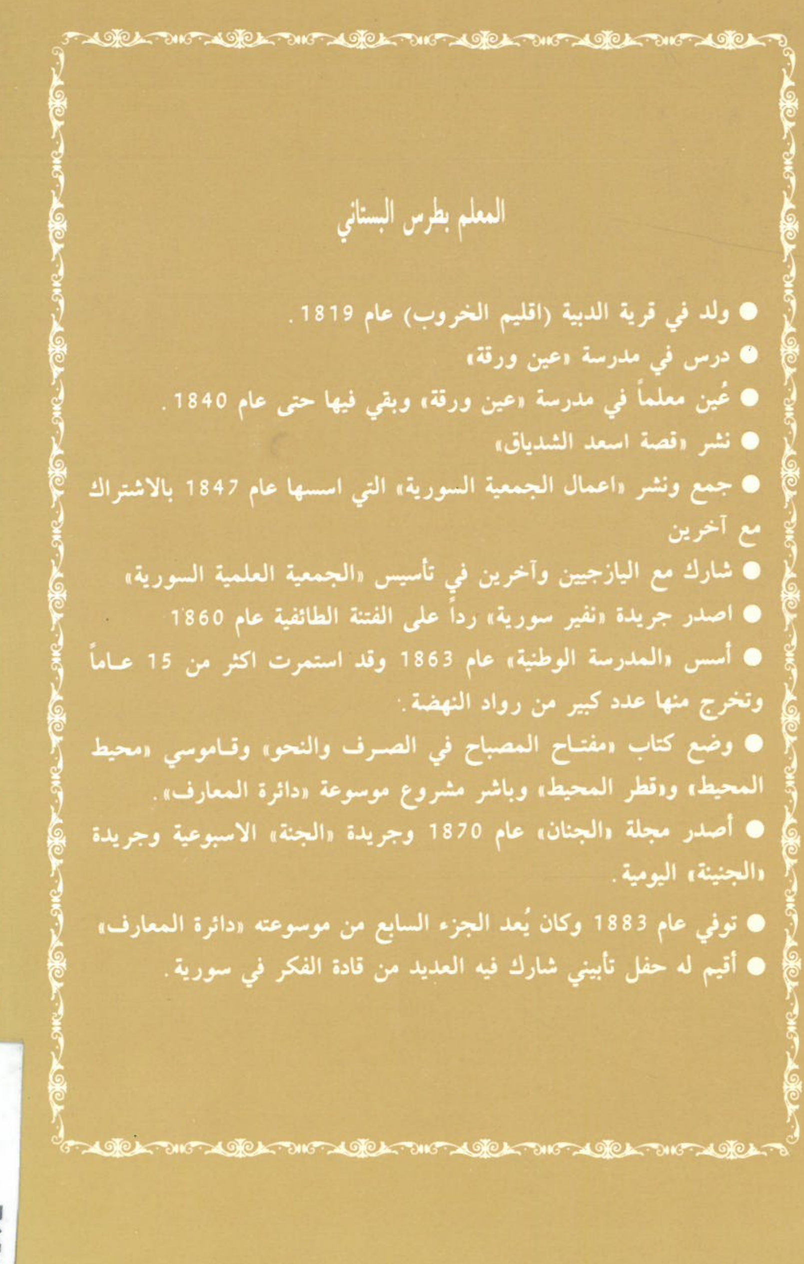
□ Printed by

MANRIKH
MAISON D'E DITION



منريخ
للطباعة والنشر

بيروت : س.ت. 57085
تلفون : 354262



المعلم بطرس البستاني

- ولد في قرية الدبية (اقليم الخروب) عام 1819 .
- درس في مدرسة «عين ورقة»
- عُين معلماً في مدرسة «عين ورقة» وبقي فيها حتى عام 1840 .
- نشر «قصة اسعد الشدياق»
- جمع ونشر «اعمال الجمعية السورية» التي اسسها عام 1847 بالاشتراك مع آخرين
- شارك مع اليازجيين وآخرين في تأسيس «الجمعية العلمية السورية»
- اصدر جريدة «نفير سورية» رداً على الفتنة الطائفية عام 1860
- أسس «المدرسة الوطنية» عام 1863 وقد استمرت اكثر من 15 عاماً وتخرج منها عدد كبير من رواد النهضة .
- وضع كتاب «مفتاح المصباح في الصرف والنحو» وقاموسي «محيط المحيط» و«قطر المحيط» وباشر مشروع موسوعة «دائرة المعارف» .
- أصدر مجلة «الجنان» عام 1870 وجريدة «الجنة» الاسبوعية وجريدة «الجنينة» اليومية .
- توفي عام 1883 وكان يُعد الجزء السابع من موسوعته «دائرة المعارف»
- أقيم له حفل تأبيني شارك فيه العديد من قادة الفكر في سورية .